الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم
السيد مدير ادارة المجلات
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد . القاهرة

تصدرها
الثقافة والارشاد القومى

الاشتراكات ١٥٠ مليما سنويا
ويضاف أجر البريد
من خارج ج.ع.م



العدد ١٠٨٠ ـ الخميس ١٨ جمادى الاولى ١٣٨٤ هـ ـ ٢٤ سبتمبر ١٩٦٤ م ـ السنة الثانية والعشرون

التطوير الجامعي

للدكتور محمد احمد خلف الله

من الجامعيين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ٠ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا ٠

ومن الجامعيين رجال تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم ٠ رجال يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ٠

والطائفتان من الجامعيين معروفتان لدى القائمين على أمور التطوير الجامعى ـ اداريين وغير اداريين ـ يعرفون كلا بسيماهم ، ويدعونهم كلما نبتت فى أذهانهم فكرة مشروع ، أو اعترضت طريق الحياة الجامعية عقبة ٠

والقائمون على أمر التطوير الجامعي يدعون من الأولين قلة لانهم أصعب مراسا وأقوى شكيمة ، ويدعون من الآخرين كثرة لانهم أسلس قيادة وأهون أمرا ٠

يدعون الأولين لأنهم القادرون على الاستكشاف ـ استكشاف كل خطأ فى سبيل الاعمال الجامعية ٠ وبذلك يتفادى القائمون على أمر التطوير من كل اعتراض يعترض به على المشروعات التى القوا بها بين أيدى اللجان ٠ ويدعون الآخرين لأنهم بكثرتهم القادرون على دفع المشروعات الى الامام ، والموافقةعلى كل ما أعد من قبل من مشروعات أو مقررات ٠

والقائمون على أمر التطوير الجامعي حريصون كل الحرص على أن تنفذ المشروعات التى يتقدمون بها ٠ ومن هنا يرون ان تكون أعمال اللجان أعمالا شكلية ومن هنا أيضا تكون دعوتهم الى اللجان ـ تكون دعوتهم للقلة المؤمنة بنفسها ودعوتهم للكثرة المستجيبة لكل ما يطلب منها ٠

والقائمون على أمر التطوير الجامعي يخشون خطر القلة المؤمنة بنفسها من أن تصيب الكثرة بالعدوى ـ عدوى الوقوف أمام المشروعات التى لا تمثل الحق والخير ـ فتشيع فى الجو قيما تحول بين القلة المؤمنة وبين أن تصل الى ما فيه نفع للجامعة والجامعيين ، تشيع مثلا أن ماتقدمت به من مشروعات هو الذى ترغب فيه السلطات العليا ـ ويعلم الله أن هذه السلطات تكون بريئة من كل ما يسند اليها ٠

وتشيع فى الجو أيضا أن فلانا وفلانا قد اعترض على اختيارهما لانهما من المعطلة الذين يعطلون الأعمال ٠

وتحقق هذه الاشاعات أهدافها ، ويصل القائمون على أمر التطوير الى أغراضهم ، وتختفى الحقيقة وسط الضجيج المصطنع فى داخل اللجان ، ويكتم أعضاء اللجان كل ما جرى مخافة أن يصيبهم من الأذى ما أصاب من ضربوا لهم مثلا ٠

ان الضمير العلمى ضمير خلقى أولا وقبل كل شيء

وان مصلحة التعليم الجامعي فوق أهواء الذين يزينون للناس زخرف القول غرورا بالباطل .

ان الضمير العلمي حريص كل الحرص على البحث عن الحقيقة ، وعلى الوصول الى الحقيقة ، وعلى اعلان أمرها للناس . والذين يرقبون أعمال التطوير فى الجامعات يرون الحقيقة وقد ضلت طريقها ، ويرون الشكليات وقد سادت كل ما عداها .

ان ما قمنا به من تطوير قد دار فى فلك الشكليات حتى اليوم .

دار بعضه حول قبول الطلبة فى الكليات الجامعية حسب درجاتهم لا حسب رغباتهم ، وحين طلب اليهم ذكر الرغبات كان قد استقر فى أذهانهم أن القبول يدور دائما حول الدرجات ومن هنا كانوا يذكرون رغباتهم على أساس من درجاتهم وليس على أساس من غواياتهم .

ودار بعضه حول امتحان الفصل الواحد أو الفصلين ، وعلم الجامعيون جميعا أن حكاية الفصلين بدعة ولكنهم سكتوا عليها ، وأخذوا يتحايلون فى قسمة المواد بين الفصلين ليكون امتحان الفصل الاول أيسر عليهم ، كما أخذوا فى تعطيل نتائج الفصل الاول لتجمع مع نتائج الفصل الثانى وتعلن النتيجة على هذا الاساس . ولم يكن ذلك كله الا تحايلا منهم يريدون به أن تظل امتحانات الفصلين عملية شكلية .

ودار بعضه حول المواد أو حول كيفية توزيع المواد على سنوات الدراسة . فهذه المادة ترفع من السنة الأولى الى الثالثة ، وتلك تخفض من الرابعة الى الثانية ، وهكذا .

ان التطوير الجامعي لم يمس أبدا الجوهر وظل أبدا يدور حول العرض .

يقول بعض المهتمين بشئون التربية : ان نتاج الجامعات فى البلاد العربية غير متفق مع ما تحتاج اليه البلاد من انماء وتنظيم ...

ان مساهمة جامعيينا فى الانماء الاقتصادى دون المطلوب فى هذه المرحلة من حياتنا التى تدعو فيها لتفجير مواردنا واستغلال امكانياتنا الى أبعد حد ممكن ...

ان تعليمنا الجامعي مقصر فى سد حاجة الامة الى الانماء الاقتصادي ، ورفع مستوى معيشة الشعب ، ومقصر كذلك فيما يرجى منه من توفر الاختصاصيين المؤهلين للقيام بشئون التنظيم فى شتى نواحى حياتنا ..

هذا الذى يقوله هذا الكاتب يتفق تماما وما جاء فى الميثاق من دعوة تقول : **ان مسئولية الجامعات ومعاهد البحث العلمى فى صنع المستقبل لا تقل عن مسئولية السلطات الشعبية المختلفة .**

ان السلطات الشعبية بدون العلم قد تستطيع أن تثير حماسة الجماهير لكنها بالعلم وحده تقدر على العمل تحقيقا لمطالب الجماهير .

ومن هذا التصور فان الجامعات ليست أبراجا عاجية ولكنها طلائع متقدمة تستكشف للشعب طريق الحياة ...

ان المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الكبرى التى يتصدى شعبنا اليوم لمواجهتها لا بد لها من حلول علمية .

على أن مراكز البحث العلمي الآن مطالبة فى هذه المرحلة من النضال أن تطور نفسها بحيث يكون العلم للمجتمع ...

هذه الدعوة من **الميثاق** هى التى يجب أن تكون أساسا للتطوير الجامعي . أساسا ينبت أولا وأخيرا من العلاقة بين القيم العلمية والحياة فى مجتمعنا . وذلك لن يتم أبدا الا على أساس من تطوير المناهج والا على أساس من الاستاذ والطالب .

ان الاستاذ والطالب والمنهج هى الأسس الثلاثة التى يجب أن يكون التطوير على أساس منها .

فالاستاذ يجب ان يكون مدركا واعيا لنفسه أولا وللقيم العلمية ثانيا والا فسد عمله حين يربط بين القيم العلمية وبين الحياة فى المجتمع الذى يعيش فيه ٠

والطالب يجب ان يكون من الذين تمكنهم قدراتهم من العمل القيادى فى المستقبل ـ والا أخرجنا انسانا عاطلا غير مؤهل للتنظيم والعمل القيادى ٠

والمنهج يجب ان يكون قائما على القيم العلمية التى تفسر الحياة فى مجتمعنا ، وتساعد على التقدم العلمى والانماء الاقتصادى فى مجتمعنا ٠

وذلك كله يتم لو توخينا الحقيقة ، وادركنا اهداف التعليم فى كل مرحلة ، ووقفنا بصفة خاصة عند مهمة الجامعة فى الحياة ـ تلك المهمة التى اشار اليها الميثاق وهى أن الجامعات طلائع متقدمة تستكشف للشعب طريق الحياة ٠

يجب ان يقوم التطوير على هذه الأسس ٠

الاستاذ الواعى المدرك ٠

والطالب المتفتح ٠

والمنهاج الذى يؤسس حياتنا على قيم علمية وينمى احساس النشء بالخطر المحدق بنا ، ويوفق بين تراثنا القديم والمدنية الحديثة ٠

كلمات

ان قدرتنا على التمكن من فروع العلم المختلفة هى الطريق الوحيد أمامنا لتعويض التخلف ٠٠٠

ان الأمم التى ارغمت على التخلف ، اذا ما استطاعت ان تبدأ الآن معتمدة على العلم المتقدم تضمن لنفسها نقطة بداية تفوق النقطة التى بدأ منها الذين سبقوها الى المستقبل ٠ ومن ثم تمنح نفسها قوة اندفاع فى اللحاق بهم والسبق عليهم ٠

لا ريب ان كليات الآداب والعلوم هى المعاصر التى فيها تعالج المشاكل الانسانية الأصيلة ، وتوضح الفكر والمبادىء العامة التى يرتكز عليها كل بحث او استقصاء ٠

فيها يدرب الطلاب على التأمل ، وعلى مجابهة قضايا العقل والروح ، وعلى استكشاف المنابع الاولى لحياة المجتمع ، والمثل العليا لنهضته ورقيه ، وعلى التمييز بين القيم واحترام ارفعها واعظمها شأنا ٠

انها بهذا الوصف لب الجامعة ، وازدهارها ضرورى لتغذية الكليات الاخرى كى لايكون متخرجو هذه الكليات مهنيين فحسب ، بل مثقفين ثقافة عامة بكل مافى الكلمة من معنى شامل عميق ٠

ثم ان هذه الكليات ـ الآداب والعلوم ـ مدعوة قبل سواها لصنع قادة الفكر ، وما احوج المجتمع اليهم ـ خصوصا اذا كان كمجتمعنا على مفترق الطرق ، وفى غمرة ازمة كيانية يتوقف عليها كنه وجوده

انا نبغى بناء مجتمع عربى جديد ، فلنركز أصوله فى القيم الانسانية الأصيلة ، مدعومة بقيمنا القومية التى جلاها ماضينا ، وفرضها حاضرنا ومستقبلنا ٠

ان أوضاع تربيتنا الجامعية ، الذاتية والظرفية ، تجعلها تتوجه الى انتاج وسطى وافر لا الى انتاج ممتاز مختار ٠ فلا بدع ألا تخرج لنا القادة الصالحين ، ولا تولد لنا الزعامة المطلوبة ٠

« دكتور محمد أحمد خلف الله »

الدعوة إلى التجديد الديني

بقلم
محمد محمد المدني

- ١ -

كتب السيد الدكتور **محمد أحمد خلف الله** فى مجلة الرسالة عدة مقالات تحت عنوان « التجديد الدينى » تناول فيها بالبحث بعض المسائل الهامة المتصلة بأصول الشريعة الاسلامية وقواعدها ، ورغب الى المشتغلين بدراسة الفقه الاسلامى - وخاصة فى الميادين التى طرحت فيها مشكلات جديدة لمجتمع جديد - أن يشمروا السواعد لبحثها والخروج من هذا البحث بنتائج اصلاحية تتفق ومقتضيات التجديد والتطور الزمنى والاجتماعى .

وقد رغب الى بعض اخوانى - كما رغب الى سيادته - فى أن أبدى رأيى فى هذه المقالات ، وأن أناقش ماجاء فيها .

وانى مستجيب لذلك ، على الرغم من أننى لا أحب أن أشتغل بالجدل ، وأوثر أن يكون اشتغالى ببحوث مستقلة أقدمها للقراء ، مسجلا بها صورا متكاملة لأفكارى وتأملاتى ، فان ذلك أجدى فى نظرى ، وأحفظ للوقت والجهد ، وأقرب الى تحقيق منهج غايته البناء والانشاء .

واذا كنت سأبدى الرأى فى أهم ما كتبه سيادة الدكتور موافقة أو معارضة - بترتيب ما أورده فى مقالاته - فانى سأحاول مع ذلك أن أتوسع ببيان يفيد القراء بيانه حتى لا يكون ما أكتب مجرد تعليقات ، وبالله أستعين :

١ - فى المقال الاول الذى كتبه سيادة الدكتور بالعدد ٥٥ من الرسالة :

● قدم بمقدمة أتى فيها بفروق اربعة بين التشريعات الدينية والتشريعات المدنية : خلاصتها « ان التشريعات الدينية لا تقف عند حدود عالم الشهادة ، وانما تمتد الى عالم الغيب أيضا ، وأن فى التشريعات الدينية عناصر ثابتة لا تتغير بتغير الزمان أو المكان ، وهى ما يتعلق بالمعتقدات الدينية الخاصة بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .. الى غير ذلك ، وعناصر غير ثابتة يمكن ان ينالها التغيير والتبديل ، وهى التكاليف والاحكام ، وان النصوص فى التشريعات الدينية لا يمكن أن تكون محل تغيير ، فقد تبقى لفظا ومعنى ، وقد تنسخ أحكامها وتبقى ألفاظها فلفظها مقدس ليس محل تغيير ، ولكنه يقبل التفسير والتأويل « حسب الظروف والمناسبات » ، وأن تغيير الاحكام الدينية عن طريق النسخ لم يعد ممكنا بعد وفاة الرسول وتوقف الوحى عن النزول » .

● أورد الدكتور بعد هذه المقدمة سؤالا هذا نصه :

« ما العمل الآن فى آيات الاحكام والتكاليف التى يمكن ان تتأثر بفعل الزمن ؟ » .

● ثم أخذ فى تنوير القراء لكى يحاولوا الجواب على هذا السؤال بأن وضع أمامهم بعض النصوص عن ابن خلدون ، وابن القيم ، والغزالى ، وبعض القواعد المعروفة عند العلماء وهى : « الضرورات تبيح المحظورات » ، و « الحكم الشرعى المبنى على علة يدور مع علته وجودا وعدما » ، و « الاحكام تتغير بحسب تغير الازمنة والامكنة والاحوال والنيات والعوائد » .

● ثم عاد الدكتور مرة أخرى فقال : « اننا نضع هذه القواعد بين أيدى القراء لنعيد عليهم من جديد السؤال السابق : « ما العمل الآن فى آيات الاحكام والتكاليف التى تأثرت فعلا بفعل الزمن ؟ » » .

- ويلاحظ أن السؤال حين ألقى لثانى مرة

يختلف بعض الاختلاف عنه حين ألقي للمرة الاولى . اذ جاء التعبير اولا بعبارة « آيات الاحكام والتكاليف التي يمكن أن تتأثر بفعل الزمن » ثم جاء ثانيا بعبارة : « آيات الأحكام والتكاليف التى تأثرت فعلا بفعل الزمن » أى أن الامر ذكر اولا فى صورة الفرض والتقدير ، وذكر ثانيا فى صورة الواقع الذى حدث فعلا .

* * *

تلك هى خلاصة المقال الاول من المقالات التى كتبها السيد الدكتور محمد أحمد خلف الله

أما رأينا فى ذلك فنحن نوافقه فى بعضه ، ونخالفه فى بعضه ، واذا قلنا : نخالفه فى بعضه ونوافقه فى بعضه ، فانما نقصد التفاصيل التى اراد أن يصل بها الى المبدأ الخطير الذى يوحى به سؤاله ، أما نفس المبدأ فنحن نرفضه رفضا قاطعا ونراه مبدءا خطيرا لا يصح القول به ، فضلا عن الدعوة اليه :

● فنحن نسلم بالفرقين الاولين اللذين ذكرهما عن طبيعة الموضوعات التى يتناولها التشريع الدينى ولا تتناولها التشريعات المدنية ، وعن اشتمال الشريعة على العقائد الثابتة التى لا تتغير ولا تتبدل وعلى الاحكام والتكاليف التى تقبل النسخ والتغيير بتغير الرسالات ، أو بالنسخ حال حياة الرسول . ونزيد القراء بيانا وتوضيحا بذكر بعض المعلومات فى هذا الشأن ـ على شريطتنا التى اشرنا اليها اول هذا المقال بعدم الاقتصار على التعليق ـ فنقول :

١ ـ ان الحذاق من العلماء يفرقون بين معنيين تستعمل فيهما مادة « شرع » :

فهى أحيانا تفيد معنى : رسم ، ونهج ، وسن من كل ما يدل على الخطة العملية التى رسمها الله لعباده ، وأمرهم بسلوكها ، كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر اعمال البر وقواعد التعامل والتعايش ومنه قوله تعالى « ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » وقوله جل شأنه « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » .

وهى أحيانا تفيد معنى : بين ، واظهر ، وأوضح ومنه قوله تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى : ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ـ قال ابن الاعرابى : شرع أى اظهر ، ويقال : شرع فلان أى أظهر الحق وقمع الباطل .

وتبعا لاختلاف الاستعمال فى هذه المادة قال قتادة : الدين واحد ، والشريعة مختلفة ، وفرق الراغب الأصفهانى فى كتابه «المفردات» بين الشريعة بمعنى ما قيضه الله للانسان من الدين وأمره به ليتحراه اختيارا مما تختلف فيه الشرائع ويعترضه النسخ ، ودل عليه قوله تعالى « ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها » وبين ما شرعه من الاصول التى تتساوى فيها الملل فلا يصح عليها النسخ كمعرفة الله تعالى ونحو ذلك ، وفسر بهذا قوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا » .

* * *

وهذا هو المعنى الذى قرره الامام الرازى فيما نقله عنه السيد الدكتور خلف الله حيث يقول « وبالجملة : فالمقصود من الآية أن يقال شرع لكم من الدين دينا تطابقت الانبياء على صحته ، واقول : يجب أن يكون المراد من هذا الدين شيئا مغايرا للتكاليف والاحكام ، وذلك لأنها مختلفة متفاوتة ، قال تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » فيجب أن يكون المراد منها الامور التى لا تختلف باختلاف الشرائع وهى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » .

* * *

هذا هو ما ذكره الامام الرازى ، ونقله عنه الدكتور خلف الله ، وينبغى ألا يغيب عن القراء ان كلام الامام الرازى هنا عن تفاوت التكاليف والاحكام واختلافها ، انما يراد به ما يكون من التفاوت والاختلاف بين شريعة وشريعة ، فواضح ان الله تعالى قد شرع من الشرائع التفصيلية ، والمناهج العملية على لسان كل رسول ، ما يناسب أحوال المرسل اليهم وازمانهم ، ولذلك لا يصح ان ينسحب الكلام الذى ذكره الرازى على الشريعة الاسلامية التى هى آخر الشرائع وخاتمتها ، فلا يأتى بعد تمامها ووفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ناسخ لشىء من احكامها ، ولا تشريع جديد يخرج عن نطاقها وما رسمته من القواعد .

٢ ـ واذا أردنا أن نضبط الامر فيما يتعلق بما يجوز الاجتهاد فيه وما لا يجوز الاجتهاد فيه ، فى دائرة الشريعة الاسلامية ، فاننا نستطيع أن نلخص ذلك فيما يأتى :

هناك نوعان من المسائل والاحكام يستطيع الناظر فى علم الشريعة الاسلامية أن يفرق بينهما ، وان يهتدى فى هذا التفريق فى بحثه :

النوع الاول : الاحكام القطعية التى قام الدليل على انها ثابتة لا تتغير بتغير الزمان او المكان ، ولا يجوز الاختلاف فيها ، ولا تخضع فى ثبوتهـا ونفيها لاجتهاد المجتهدين ٠

ويمكننا ان نرجع هذا النوع الى ما يأتى :

اولا : العقائد القاطعة التى يجب الايمان بها ، لقيام الدليل اليقينى – فى ثبوته ودلالته – عليهـا وعلى انها الحد الفاصل بين المسلمين وغير المسلمين، ومن جحد شيئا منها فقد خرج من ربقة الاسلام ، وذلك كالتوحيد ، وارسال الرسل ، وانزال الكتب وختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والبعث بعد الموت ، والجزاء على الاعمال فى الدار الآخرة، وان الله تعالى متصف بكل كمال ، منزه عن كل نقصان ، وان الرسل لايجـوز عليهم الـكذب ، ولا الكتمان ، ولا الخيانة ، الى غير ذلك من العقـائد التى يكون بها المسلم مسلما ، والتى يخرج عن الاسلام اذا جحد شيئا منها ٠

❊ ❊ ❊

فليس لأحد أن يجتهد فى ذلك وأمثاله ، لانه ليس محلا للاجتهاد ، اذ هو حقائق متعينة ثابتة باقيـة لا تتغير مهما تغير الزمان أو المكان الى يوم الدين ، وليس هناك احتمال ما لثبوت تغيرها أو بطلانها ٠

ثانيا : الاحكام العملية التى جاءت بها الشريعة بطريقة واضحة حاسمة فى جانب الايجاب أو المنع أو التخيير ، وذلك مثل وجوب الصـلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا، وكون الصلوات خمسا فى اليوم والليلة ، وكون هيئة الصلوات هى هذه الهيئة المعروفة ، واعداد ركعاتها هى الاعداد المعروفة ، ومثل تحريم قتـل النفس بغير الحق ، وأكل الأموال بالباطل ، وقذف الاعراض ، والزنى والافساد فى الارض ، ونحـو ذلك ، ومثل اباحة الطيبات ، وتحريم الفواحش٠٠ الخ ٠

ثالثا : القواعد الكلية التى أخذت من الشريعـة بنص واضح ليس فيها ما يعارضـــه تقريرا أو تفريعا ، أو استنبطت بعد الاستقراء التام ، وعلم ان الشريعة تجعلها أساسا لاحكامها ، وذلك مثل : « لاضرر ولا ضرار » ، « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » ، و « الحدود تدرأ بالشبهات » ، « لا يعبد الله الا بما شرع » ، و « المعاملات على أصل الحل حتى يثبت المنع » ونحو ذلك ٠

النوع الثانى : أحكام أو نظريات لم تجىء على هذا النحو القاطع فى وروده ومعناه ، ولكنها جاءت أو جاء ما يدل عليها أو يشير اليها ، على نحو صالح لان تختلف فيه الافهام ، وتتعدد وجهـات النظر ، اما لأمر يتعلق بأصل الورود ، واما لأمر يتعلق بالدلالة والافادة ٠

وهذا النوع هو الذى جعلته الشريعـــة موضع اجتهاد المجتهدين ، وجعلت منه مجالا للنظر والتقدير والموازنة والترجيح والاستقراء والتتبع وتقـدير المصلحة والعرف وتغير الحال الى غـير ذلك من وجوه النظر واسباب الاختلاف ٠

ومن هذا القبيل :

(ا) فى جانب المعارف الـــكلامية : ما كان من اختلاف النظر فى شأن القضاء والقدر ، وفى تأويل ما ورد من اثبات الوجه واليد والعين ونحو ذلك ، لله تعالى على معنى يليق بالتنزيه ، او التفويض بابقائها على ما وردت عليه بدون تأويل ، مع اعتقاد انه تعالى «ليس كمثله شىء» ، وفى امكان رؤية المؤمنين لله أو عدم امكانها ، وفى وجوب التوقف عن الخوض فيما شجر بين الصحابة من خلاف أفضى الى التنازع، أو اباحة ذلك لمن شاء ٠٠٠ الخ ٠

(ب) وفى جانب الأحكام الفقهية : اختلاف الفقهاء فى مقدار الرضاع المحرم لقيام الزوجية ، وفى حكم القصاص فى القتل بالاكراه ، وفى صحة النـكاح ونفاذه ولزومه اذا باشرت المرأة العقد دون وليها ، وفى القضاء بشاهد ويمين من جانب المدعى ، وفى القضاء بالقرائن ، وغير ذلك من المسائل الخلافيـة الفقهية ٠

(ج) وفى جانب القواعد الاصولية أو الفقهية التى تفرع عليها الاحكام : اختلاف النظر فى أن القرآن ينسخ أو لاينسخ ، وبم ينسخ ، وفى العمل بالقياس وفى العمل بالعقل ، وفى كون الزيادة على ما فى الكتاب نسخا ، وفى تقديم أحاديث الآحاد أو أقوال الصحابة على القياس ، وفى القياس على الرخص ٠٠٠ الخ ٠

● ونحن نسلم أيضا بما قرره الدكتور خلف الله من أن نصوص الشريعة لا تنسخ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، بيد أننا نحتفظ هنا بايضاحين لابد منهما :

احدهما : فى قول الدكتور : ان نصوص الشرائع السماوية نصوص مقدسة ، وهى لقداستها لا يمكن أن تكون محل تغيير ٠ انها انما تقبل فقط ، التفسير والتأويل حسب الظروف والمناسبات »٠

❊ ❊ ❊

فاذا كان الدكتور يقصد أن النصوص مع بقائها وتقديس ألفاظها ، يكون من حقنا أن نؤولها وتفسرها حسب الظروف والمناسبات ، فاننا نقول له : ان التفسير والتأويل له أصول وشروط ، ولا يمكن أن يكون أبدا حسب الظروف والمناسبات فيؤدى ذلك الى تذبذب الاحكام ومحاولة التلاعب بالنصوص واضاعة قداستها عن طريق الحيلولة بينها وبين أداء معانيها الطبيعية ، وليها وتحريفها ، وقد نعى الله تعالى على الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، وعلى الذين يقولون : هذا حلال وهذا حرام بغير سلطان أتاهم ، ولكن **افتراء على الله** ٠

❊ ❊ ❊

أما اذا كان يقصد بتفسير الآيات أو تأويلها ـ اجتهاد المجتهدين فى فهم نصوصها وما تدل عليه فهما غير متأثر بهوى ، ولا جنوح ولا جنف ، وانما هو على سنة الاخلاص للحق والرغبة فى تعرفه حسب قوانين الفهم والاستنباط التى تحكم بها اللغة والعقول والقواعد الاصولية المنضبطة المستدل عليها ـ اذا كان يريد ذلك فهو مقبول ، ولا يقال حينئذ ان لفظ النص وحده هو الذى قدس واحتفظ به ، ولكن يقال : ان النص قد احتفظ له بقدسيته فى احترام دلالته على معناه ، كما احتفظ له بقدسيته فى لفظه ٠

الثانى : فى قول الدكتور : « لقد كان الرسول يجىء بعد الرسول ليجدد التشريعات الدينية ، وظل الحال كذلك حتى كان محمد عليه السلام الذى **اعتبر خاتم الانبياء** ، والذى توقف الوحى بعده عن النزول » ٠

❊ ❊ ❊

فهذا القول حق ، بيد أن التعبير بقوله عن محمد صلى الله عليه وسلم « **الذى اعتبر خاتم الانبياء** » ليس هو الامثل فى أداء المعنى السليم الذى لاشك أنه يقصده ولا يقصد سواه ، بل التعبير الامثل أن يقال « **الذى هو خاتم الأنبياء** » ٠

والى اللقاء لنكمل ما بدأناه ان شاء الله ٠

« **محمد محمد المدنى** »

اليمن عبر التاريخ

للدكتور فؤاد حسنين علي

ينظر المؤرخون الى العصر السابق للاسلام عادة على أنه عصر ظلمات وفوضى لذلك استودعوه غيابات الجهالة واطلقوا عليه اسم العصر الجاهلي. فالمؤرخون السابقون ومن سايرهم من اللاحقين يعتبرون ذلك العصر وكأنه بالنسبة لبلاد العرب قاطبة عصر الخلق والتكوين ، فالعربى قبل الاسلام لم يعرف حضارة ولم يتذوق ثقافة ، بل ظل طيلة حياته يضرب فى بوادى الجهالة وعدم المعرفة فلا ثقافة تقوم اخلاقه ولا مبادىء سامية تنظم حياته وتحكم مجتمعه . فالعرب فى نظر أولئك المؤرخين عبارة عن أقوام بسطاء العقيدة يحيون حياة اجتماعية أقرب ماتكون الى حياة الشعوب المتوحشة منهـا الى حياة المثقفين المتمدينين . ويذهبون بعيدا فيجهلون أو يتجاهلون تلك الدول التى قامت عـلى أطراف الجزيرة كدولة **البابليين الاشوريين والآراميين والكنعانيين والمعينيين السبائيين** ، هذه الدول التى اهدت الى الانسانية خير ما يهدى اليهـا من تشريع ودين وعلوم وفنون ارست قواعد حضارتنا الحالية وعلومنا العصرية .

اما سبب هذا التشويه لتاريخ العرب قبل الاسلام فانه الرغبة الملحة فى القضاء على الوثنية الجاهلية قضاء مبرما ، فالاسلام حارب الوثنية العربية حربا لا هوادة فيها حتى كاد يستأصلها . ولم تقف هذه الحرب عند العقائد الجاهلية بل تناولت حتى الشعر الذى هو ديوان العرب ؟ فلعن القرآن الكريم الشعر والشعراء . والشعر العربى الجاهلى كمـا وصلنا دليل قوى على رقى العقلية العربية وسموها حيث نجد انفسنـا امام فن ادبى مكتمل النمو من حيث العروض والقافية .

فاذا كان الأمر كذلك مع اللغة التى نزل القرآن بها فموقف الاسلام من لغة الوثنية يجب أن يكون اشد وأمر ؛ لذلك نجد المؤرخين المسلمين يهملون عامدين عنـد كتابة تاريخ العرب والجزيرة العربية مصدرا من اهم مصادرهم التاريخية اعنى الكتابات العربية القـديمة التى كانت معروفة فى عهدهم . اننا نطالبهم بالمعينية السبائية مثلا وقد كانت حتى السنوات الاولى للاسـلام معروفة متداولة ، وكذلك الحال مع الصفوية واللحيانية والثمودية والنبطية . والدليل على المام العلماء بلغة تلك الكتابات ما جاءنا عن نشـوان الحميرى ، وهو ممن عاشوا فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميـلاديين فهو يذكر لنا الابجدية العربية الجنوبية ويفهمها فهما جيدا لذلك كان مما يؤسف له أن المؤرخين الاسلاميين خلطوا بين التاريخ والدين وتناسوا هذه الكتابات القديمة التى ظلت على الاهمال والنسيان حتى جاء القرن التاسع عشر الميلادى فاقبل العلماء الاوربيون عليها باحثين مفسرين فانطقوها بآيات بينات جلت معالم التاريخ العربى واسدت الى العالم أجل الخدمات وأعظمها .

***

وكانت النتيجة المحتومة لاهمـال العرب لهـذه الكتابات أنهم شحنوا كتبهم بالقصص والاساطير، وذلك لان التاريخ القديم يقوم عند اولئك المؤرخين الاسـلاميين على أسس من العقيـدة الجديدة لا على أصول تاريخية علمية . وحتى احسن كتاب عربى تاريخى بين أيدينـا الا وهو كتـاب ابن خلدون لم يخل من هذه الهنات، فقد اعتمد على أمثال ابن اسحق وابن الـكلبى وابن هشـام والطبرى والمسـعودى وغيرهم ، وقد عرض فيمـا عرض له لأنساب الاسر العربية الملكية القديمة ومن بين ملوك العرب وملكاتهم (بلقيس) ثم يستطرد ويتحدث عن العلاقات التى قامت بينها وبين سليمان .

***

والى قصة قيام العـلاقات التجارية بين سليمان ومملكة سبا يشير القرآن الكريم بقوله « ولسليمان

الريح عاصفة تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها وكنا بكل شىء عالمين » . ولم يكتف القرآن الكريم بهذه الآية بل افرد لسبأ صورة جاء فيها « ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر » وتشير الآيات الكريمة وما جاء في التوراة (العهد القديم) الى النشاط التجارى الذى قام به سليمان مستخدما الى جانب الطريق البرى الطريق البحرى أيضا بعد أن شيد لنفسه أسطولا تجاريا كانت قاعدته (ايلات) ومنها يمخر البحر الاحمر الى باب المندب.

واذا تصفحنا ما جاءنا فى كتبنا العربية لا نكاد نظفر فيها بشىء يتصل بمملكتى معين وسبأ ومدى ازدهار الحضارة العربية الجنوبية واتساع تجارة العرب في تلك العصور الغابرة . ثم أين قتبان وحضرموت واوسان . وأين سد مارب وما اليه من مختلف وسائل الرى التى جعلت من تلك البلاد جنات عدن تجرى من تحتها الانهار ؟ ثم اين حملة (اليوس جللوس) وغيرها التى اهملها المؤرخون العرب . اننا لا نكاد نصل الى عصر (ذى نواس) وحادث الاخدود حتى يتبارى المؤرخون فى سرد القصص والاساطير حتى تاتى حملة (ابرها) وعام الفيل فتتدفق الاخبار ويغزر الخيال .

***

ويحدثنا اولئك المؤرخون ايضا ان احد الزعماء الجنوبيين ويدعى (ذو يزن) وهو سيف أبو مرة لجأ الى فارس طالبا مساعدة بلاده للتخلص من نير الاحتلال الحبشى الذى دام حوالى ٧٢ عاما والصحيح الثابت أن هذا الاحتلال الحبشى لم يدم أكثر من ٤٧ عاما من ٥٢٥ ـ ٥٧٢ م وتحدثنا بعض الاخبار أن سيفا هذا توجه أول الامر الى بيزنطة وحاول عبثا اقناع قيصرها بارسال حملة تقاتل الى جانب الجيش اليمنى الذى يبغى تحرير البلاد من الاحتلال الحبشى البغيض. لكن القيصر دفعه تعصبه الدينى الى رفض هذا الرجاء ، فتوجه سيف الى الحيرة راجيا النعمان ابن المنذر الحاكم من قبل الفرس عليها التوسط لدى كسرى لتحقيق رغبته فتردد كسرى وبعد الحاح شديد وافق على أن تتكون الحملة من نزلاء السجون الفارسية ويتراوح عددهم بين ثمانمائة او أكثر تحت امرة ضابط يدعى (وهريز) ، ولم تكد تبلغ الحملة اليمن وتنضم الى أبناء اليمن حتى التحموا بجيش الحبشة الذى كان تحت امرة نجاشيها المسمى (مسروق) فلقى حتفه وولى جيشه الادبار .

وهكذا نجد بلاد اليمن تتحرر من الاحتلال الحبشى وان بقى وهريز بها على رأس قوة فارسية للمحافظة على الامن واقرار السلام . لكن لم يمض زمن طويل حتى حاول الفرس الاستيلاء على البلاد فقاومهم العرب أشد مقاومة وتوفى وهريز باليمن حوالى عام ٦٠٠ م فخلفه على قيادة جيشه ابنه (مرزبان) ومن ثم ابنه (خورخوسان) واستمرت الحالة بين مد وجزر حتى ظهر النبى صلى الله عليه وسلم فشعر (باذان) الحاكم الفارسى لليمن بالحاجة الماسة الى اعتناق الاسلام وقد تم له ذلك حوالى عام ٦٢٨ م .

***

هذا بعض ما نجده في مصادرنا العربية عن الجزيرة العربية . وهى صورة لاشك ناقصة ، واذا تركنا هذا النوع من المراجع جانبا ولجأنا الى الآثار والنقوش نستجوبها انطلقت تحدثنا حديثا طليا عن هذا الماضى السعيد وتلك العصور الذهبية التى سبقنا الغرب الى كشف الغبار عنها واجلائها. ولعل اقدم نقوش عربية تكشف لنا النقاب عن بلاد العرب السعيدة هى الكتابات الاشورية ، فقد جاء فيها ذكر ملكين سبائيين هما (يشع امر) و (كريب ايل) . ومن حسن الحظ أن هذين الملكين السبائيين قد حفظتهما لنا بعض الكتابات السبائية التى وصلتنا، ومن الثابت ان اولهما كان يجلس على عرش سبأ عام ٧١٥ ق . م . والثانى حوالى عام ٦٨٥ ق . م . الا أنه لم تصلنا كتابات تعيننا على معرفة مدة حكم كل منهما .

***

وتحدثنا الكتابات العربية الجنوبية ايضا أن سبأ ليست أول دولة عرفتها بلاد العرب السعيدة ، فقد سبقتها دول وقامت عروش ، ونحن نعلم ايضا ان سبأ أول ما ظهرت كانت قبيلة متنقلة في شمال البلاد العربية لافى جنوبها وتشهد بهذا هذه الآيات العبرية الواردة فى سفر أيوب وغيره ، والذى حدث ان الدولة التى كانت لها الكلمة العليا فى جنوب

البلاد العربية وكانت تسمى فيما يرجع (معين) دبت فيها عوامل الشيخوخة والضعف حتى أن أحد قضاة سبأ الا وهو (كريب آل) تمكن عام ٦٨٠ ق٠م٠ من الحصول على كسب تجاري وسياسي من الدول المعينية ، والآن وقد اصبحت تحت يد المؤرخ كتابات معينية سبائية نستطيع اعطاء صورة عن معين ، وان كانت ناقصة ، الا أنها كفيلة بأن تقرب الى اذهاننا المستوى الذي بلغته دولة عربية جنوبية في تلك العصور ٠

معين :

المعينيون شعب عربي قديم كان يقطن أول ماعرف في التاريخ جنوب بلاد العرب وقد مر بمختلف مراحل التطور والرقى شأنه في ذلك شأن الشعوب الأخرى التى انحدرت من عنصر مهذب ، لكن مما يؤسف له حقا أننا لانستطيع أن نتغلغل في تاريخه حتى نصل الى أساس صلد نستطيع واثقين تشييد صرح التاريخ العربي الجنوبي القديم ، سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية عليه ، وكل ما وصلنا لا يكفى لمعرفة مكانة المعينيين من الشعوب العربية الجنوبية الاخرى ، فالعلماء يذهبون مذاهب مختلفة مثلا حول ظهور المعينيين على المسرح السياسى فمنهم أمثال (جلازر) و (هومل) و (فيمر) و (فيلبى) من يقول بقدم المعينيين والقتبانيين والحضارمة ، وأن تاريخ المعينيين يرجع الى حوالى عام ١٢٠٠ ق ٠ م ٠ فالمعينيون فى رأى هذا النفر من العلماء أقدم من السبائيين ، بينما نجد امثال (د٠هـ٠ مللر) و «مارتين هارتمان» وغيرهما يقولون بالعكس ٠ وهناك فريق ثالث على رأسه (ك٠ملاكر) يذهب طريقا وسطا ويقرر أن القتبانيين والمعينيين جاءوا مباشرة بعد سبأ وقد تم ذلك فى فترة مائة عام ٠

***

ولو كان الخلاف بين العلماء يقف عند مكانة كل من معين وسبأ من الاخرى لهان الامر ، لكن الخلاف استتبع خلافات أخرى حول الفترة التى ظهرت فيها معين أو سبأ ، ومن العسير حقا أن يصدر الآن مؤرخ رأيا قاطعا حول ملوك دولة ما من دول بلاد العرب الجنوبية والزمن الذى ملكوا فيه وسيستمر الحال كذلك حتى تستكمل الدراسة الاثرية لبلاد العرب السعيدة وعندئذ فقط يصبح من العسير على المؤرخ ترجيح رأى على آخر ٠

***

لكن اذا تركنا الشرق العربي واتجهنا الى أوربا وجدنا أنفسنا فى محيط آخر اقل وعورة وايسر معالجة ، فها هى حملة (اليوس جللوس) هذا القائد الرومانى الذى قاد حملة عام ٢٤ ق ٠ م ٠ ضد بلاد العرب الجنوبية وسجلها لنا أكثر من مؤرخ مثل (بلينيوس) الذى يذكر فى كتابه الرابع ما مفاده أن هذا القائد الرومانى خرب فى بلاد العرب الجنوبية (نجرانا) و (ماريبا) و (كاربيتا) أى حريب وغيرها ٠ ويذكر (بلينيوس) أن حريب هى أبعد مدينة بلغتها حملة اليوس جللوس ٠ أما (سترابون) فيقرر فى كتابه الرابع عشر أن الحملة بلغت مدينة (شهرا) وهى تقع على مسيرة ستة أيام من نجران، وهناك دارت رحى معركة بين اليوس جللوس والعرب عند نهر قد يكون (غيل خارد) الذى يجرى فى الجوف ٠ ويذكر (سترابون) أيضا أن اليوس غزا مدن (اسكا) (= نسكا ـ عند بلينوس = نشق) و (اثرولا) أو (اثلولا) وهى اثيل ٠

وبانتهاء حملة اليوس جللوس وفشلها دخل تاريخ بلاد العرب الجنوبية فى فترة أخرى من الركود والظلام وظل الحال كذلك حتى اتصل تاريخها بالعالم الخارجى مرة أخرى ، فالذى حدث أن الامبراطورية الرومانية ارادت أن تسير فى طريق اختها الغربية الا أنها اعتبرت بمصير حملة (جللوس) والفشل الذى منيت به، لذلك فكرت بيزنطة فى انتهاج وسيلة اخرى للقضاء على بلاد العرب الجنوبية ، وهى التى كانت تلعب فى ذلك الوقت الدور الذى تلعبه مصر منذ أن شقت قناة السويس، فمصر تهيمن على شريان من أهم شرايين الملاحة الدولية ، كذلك كانت البلاد العربية الجنوبية لمركزها الجغرافى الهام على البحر الاحمر والمحيط الهندى وحيث يوجد مضيق باب المندب ٠ فالامبراطورية الرومانية الشرقية كانت

حريصة على الاستيلاء على هذا الممر للافادة من مركز بلاد العرب الجنوبية الجغرافي وبخاصة لان المسيحية كانت قد أخذت تنتشر في كثير من الولايات الرومانيه الشرقية حتى أنه لم يأت عام ٣٧٥ م الا وكان القيصر قسطنطين قد اعترف بها دينا رسميا للامبراطورية.

***

ويحدثنا تاريخ المسيحية أن مبشرا مسيحيا سوريا يدعى (فميون) نجح في نشر الديانة المسيحية بين سكان جنوب البلاد في الجزيرة العربية كما اقام كنيسة في نجران ، وقد كان ذلك حوالى منتصف القرن الرابع الميلادى . ويحدثنا القصص العربى القديم ان ملكا يدعى (آب كريب اسعد) اشتهر قديما تحت اسم آخر وهو (اسعد الكامل آل تبع) رحل الى يثرب حيث استقبله اليهود ، ومن ثم اعتنق اليهودية . ولما عاد الى جنوب بلاد العرب أعلن اليهودية دينا رسميا للدولة ، وما زلنا الى اليوم تعرف الدرب الذى سلكه هذا الملك والذى يعرف باسم درب الفيل وقديما (اسعد الكامل)وهو يربط بين اليمن وجنوب العربية السعودية . وسواء صحت هذه القصة أولم تصح فالديانة اليهودية ظلت دينا رسميا طيلة حكم السبائيين المتأخرين لها . وآخر ملك يهودى هو ذلك المعروف باسم (ذى نواس) ويرجح انه ملك من ٥١٠ ـ ٥٢٥ م وبوفاته انتهى تاريخ الاسرة السبائية اليهودية .

نعم كانت اليهودية فترة من الزمن هى الديانة الرسمية الا ان فترة الاحتلال الحبشى لم تنقض دون أن تترك أثرا فى عقائد البلاد فى منتصف القرن الرابع الميلادى . لقد ترك ذلك الاحتلال وبخاصة فى نجران بذورا من المسيحية فتعاون الدينان السماويان على مطاردة الوثنية العربية القديمة واضطرارها الى الاحتماء بمكة . لكن يجب الا يتبادر الى اذهاننا ان الانسجام بين اليهودية والمسيحية كان تماما فكثيرا ما اشتبك انصارهما فى معارك دموية . ويحدثنا التاريخ ان بلاد العرب الجنوبية كانت فى اوائل القرن الخامس الميلادى مسرحا لمذابح عنيفة . ففى عام ٥٢٢ م شن الملك اليهودى ذونواس حملة اضطهاد عنيفة نكل فيها بالمسيحيين فقد هاجم نجران وخير اهلها بين الردة او القتل فتمسكوا بمسيحيتهم ، وكانت حادثة الاخدود التى سجلها القرآن الكريم فى سورة البروج . فكان هذا الحادث من الاسباب المباشرة التى اثارت غضب قيصر بيزنطة فاتصل بنجاشى الحبشة وطالبه بارسال حملة تاديبية الى تلك الدولة اليهودية . وقد تحققت امنية القيصر وهزم الحبش ذا نواس وجيشه وثبتوا أصول المسيحية وجعلوا منها الدين الرسمى للبلد .

***

ولم يكد يفرغ (ارياط) الحبشى من ذى نواس حتى عين على البلاد حميريا يسمى (سام يفع اشوع) وقد ظل فى منصبه حتى عام ٥٣٥ م وحوالى ذلك العام ظهر (ابرهة) فعين احد رؤساء كندة واسمه (يزيد ابن كبشة) حاكما على كنده فتحين الفرصة وقاد ثورة ضد (ابرهة) وانضم اليه (معد كريب) بن (سام يفع اشوع) وبعض الزعماء السبائيين الآخرين. لكن (ابرهة) انتصر على الثوار وبطش بهم ثم انصرف الى الاصلاحات الداخلية ومن بينهما سد مأرب . وبعد ذلك نشط فى نشر المسيحية ومحاربة سائر الاديان الاخرى فى الجزيرة العربية . الا ان الوثنية الجاهلية ظلت قوية ومركزة فى مكة حيث الكعبة . ولعل هذا من الاسباب الاخرى التى دفعت ابرهة الى القيام بحملته عام ٥٧٠ م التى اندحرت ، وظلت الوثنية العربية قائمة حتى جاء النبى محمد صلوات الله عليه فقضى عليها الاسلام وطهر البلاد العربية جميعها منها ومن الاستعمار الاجنبى ووحدها توحيدا لم تعرفه من قبل ، كما خلق منها فى فترة وجيزة من الزمن امة قوية مهابة الجانب بعد ان اعدها لتقبض بيدها على صولجان المجد والعظمة .

وان بعد ان عرضنا لليمن فى حقبة خاصة من عمر الدهر وهى الحقبة السابقة للاسلام فما هى العبرة التى نخرج بها من هذا التاريخ ؟ لقد بسطنا القول فى هذه العجالة لنرى كيف ان بلاد العرب الجنوبية كانت مسرحا منذ عصور بعيدة جدا قبل الاسلام لاكثر من دولة ، فهناك المعينيون والسبائيون والقتبانيون والحضارمة وغيرهم . وقد ظلت هذه الدول متشاحنة متنافرة مع اختلاف الازمنة وتطور الظروف فتعرضت غلاتها الطبيعية وموقعها الجغرافى كقنطرة بين الشرق والغرب لكثير من مطامع الدول الاستعمارية سواء فى العالم القديم كالرومان والبيزنطيين والفرس والحبش او الحديث . والدافع الاول لهذا الطموح فى استعمارها اقتناع روما بان سلطانها على البحر الابيض المتوسط او البحيرة الرومانية مهدد بالزوال

ما لم تقبض بيد حديدية على باب المندب وتؤمنه يمنا وسوما لتضمن جريان خيرات الشرقين الادنى والاقصى فى خزائنها تأمينا لامبراطوريتها وطرقها التجارية .

ورأينا كذلك كيف ان سليمان الحكيم شيد اسطولا تجاريا قاعدته ميناء (ايلات) الواقعة على راس خليج العقبة وبفضل البحر الاحمر استطاع ان يشارك فى تجارة اليمن والشرق الاقصى كما استغل باب المندب للتسلل الى القارة الافريقية بعد أن نجح فى اقامة هذه العلاقات التجارية بينه وبين سبأ . وعن طريق سيطرته التجارية على هذا الشريان الحيوى ساهم بقسط وافر فى اذكاء الروح التجارية فى الشعب اليهودى كما حبب اليه المغامرات التجارية والاسفار.

وقد تنبه بن جوريون الى اهمية ايلات فحرص على الاستيلاء عليها ببسط يده على اقليم النقب عام ١٩٤٩ ورأى ان الطريق الموصل اليها هو صراط ضيق يمتد على طول الحدود الاردنية وهو تحت رحمة العرب لذلك ارسل بن جوريون طائفة من رجال الكشف وطالبهم بكشف طريق آخر فى الصحراء او التلال فى الجانب الآخر من اقليم النقب المواجه للحدود المصرية، وقد نجح رجال الكشف فى اكتشاف هذا الطريق بالرغم من وعورته فما كان من بن جوريون الا ان كلف (يجئل الون) قائد القطاع الجنوبى وقتذاك ارسال فرقتين الى ايلات واحدة تتجه شرقا والاخرى تمهد طريقها غربا وتحاول كل فرقة الوصول الى ايلات قبل الاخرى . وعندما بلغها قائدا الفرقتين ابرقا الى بن جوريون « تحياتنا من ايلات » ففرح بن جوريون وركب طائرة الى سادوم ومنها الى ايلات « باب اسرائيل الى الشرق » .

فمن هذا يتبين لنا مدى خطورة هذا الوضع على عالمنا العربى ومستقبل اجياله القادمة ولا سيما اذا ظلت بلاد العرب الجنوبية تحت سيطرة الاستعمار بمختلف أنواعه سواء كان عسكريا أو ثقافيا أو حضريا وبخاصة لان باب المندب هو المسيطر على أهم شريان مائى فى العالم العربى فتحرير هذا البوغاز هو تحرير للبحر الاحمر من جنوبه الى شماله وتأمين للبلاد العربية وتمكين لها من ممارستها سيادة كاملة على اراضيها ومختلف مرافقها وتوجيهها الوجهة السليمة خدمة للانسانية والمثل العليا التى تنشدها منذ ابعد العصور واتخذتها الحنيفية شعارا وابت الا ان تكون اسلاما .

دكتور فؤاد حسنين على

هل يذهب سحر القمر ؟

للشاعر على الجندى

كلما تقدم العلماء خطوة فى سبيل الوصول الى القمر ، اعترى الشعراء الفزع والهلع !! خشية أن يفقدوا مصدرا خصيبا من مصادر الالهام الجمالى ، حينما يتم غزو هذا الكوكب الوضاح ، ويتردد الناس فى الرحلة اليه من الارض ! حفظ الله القمر !

ابقوا على سحر القمر
لا تهتكوا عنه الستر

هو قطعة من ارضنا
لا ماء فيه ولا شجر

يغنى الخيال ببعده
وبقربه يقذى البصر

والحسن ـ واأسفاه ـ قبـ
ـح فيه داعب من شعر

انا نشبب بالخرا
ب ، وبالتراب ، وبالحجر

بعض الحقائق مرة
من ذاقها حمد «الصبر»

لولا اضاليل الحيا
ة تقطعت منا المرر

ما اجمل الاحلام والأو
هام فى دنيا البشر

هى بلسم الأوجاع تر
ياق الهموم ، هى الخدر

فاسكن الى خدع المنى
وليكف عن خبر خبر

وارض الظواهر فالبوا
طن قد تسوء ، وقد تسر

ملوك بني أيوب

اشتغالهم بالعلم وصلاتهم بالعلماء

للدكتور جمال الدين الشيال

كانت مملكة **صلاح الدين** تضم مصر والشام واليمن وبلاد العرب ، خضعت جميعها له ، فبدأ بتوحيد الجهود كلها لتحقيق مثله الاعلى وهو نصرة الاسلام وانقاذ أراضيه من أيدى الصليبيين ، ولكن اسرته كانت كثيرة الرجال ، فكان هناك اخوته واولادهم،وكان هناك أولاده ، فأقطع صلاح الدين كلا من هؤلاء عملا من أعمال الجزيرة والشام ، فولى ـ قبيل موته ـ أخاه العادل على بلاد الجزيرة ، كما ولى ابنه الافضل دمشق ،وابنه الظاهر حلب ، وابنه العزيز مصر .

أما حماة فكانت اقطاع ابن أخيه الملك المظفر الاول تقى الدين عمر ، وأما بعلبك فكانت اقطاع ابن أخيه فروخ شاه داود ، وأما حمص فكانت اقطاعا لأولاد عمه أسد الدين شيركوه ، وأما اليمن فقد كان يليها أخوه سيف الاسلام طغتكين .

وقد وضع صلاح الدين فى حياته أساس التقاليد القوية لنظام الوراثة فى الأسرة ، فكان اذا مات أحد هؤلاء الولاة أمر أن يخلفه ابنه فى حكم هذا العمل ، وقد سار على نهجه ابنه الظاهر ـ صاحب حلب ـ ثم أولاده من بعده ، يقول جمال الدين بن واصل عند ترجمته للملك العزيز غياث الدين محمد بن الملك الظاهر بن صلاح الدين :

« وكان من رايه وراى والده ، وراى ولده بعده، انه اى امير مات اقر ولده موضعه ، وان كان صغيرا رتب معه من يقوم به وبتاديبه والخدمة ببابه عنه الى أن يكبر ويتاهل للخدمة ، وكذلك كان رايهم فى المدرسين وأرباب المناصب ، وانما تلقوا هذه الخلة الجميلة من جدهم الملك الناصر صلاح الدين ، رحمهم الله أجمعين » .

وبعد موت صلاح الدين بقليل نشب النزاع بين أولاده ، ثم لم يلبث أن اشتد ، فتدخل اخوه الملك العادل أبو بكر لحسمه ، ولكنه لعب دورا ماكرا انتهى بعزل العزيز والافضل ، وتملكه هو مصر ودمشق ، ولم يبق فى الملك من أولاد صلاح الدين الا الظاهر صاحب حلب ، وقد توارث ملكه أولاده من بعده .

اما العادل فقد صنع صنع أخيه صلاح الدين فقسم ملكه قبل موته بين أولاده الثلاثة ، فترك بلاد الجزيرة ـ أو البلاد الشرقية كما كانت تسمى ـ للاشرف موسى ، ودمشق للمعظم عيسى ، ومصر للكامل محمد .

وقد مات المعظم عيسى قبل أخويه ، فخلفه على دمشق ابنه الناصر داود ، ولكن الكامل لم يلبث أن عزله عنها وولاه الكرك ، وظلت دمشق تتأرجح بين الأخوين : الاشرف والكامل ، الى أن ماتا معا فى سنة واحدة (٦٣٥ هـ) فوليها مع مصر الملك العادل الثانى بن الكامل ، ثم أخوه الملك الصالح نجم الدين ايوب ، فلما انتقل الملك فى مصر الى المماليك سار الناصر يوسف بن العزيز بن الظاهر ـ صاحب حلب ـ الى دمشق فملكها .

من هذا العرض السريع نستطيع أن نتبين أن الملك فى بلاد الجزيرة ، ودمشق ومصر لم يخلص لفرع واحد من البيت الايوبى ، على العكس من حلب وحماة وحمص ، فقد حكم الاولى بيت الظاهر بن صلاح الدين ، وحكم الثانية بيت تقى الدين عمر بن شاهنشاه ، وحكم الثالثة بيت أسد الدين شيركوه .

وكان جل ملوك الايوبيين ـ ان لم يكن كلهم ـ يشتغلون بالعلم والادب ، ونبغ منهم كثيرون فى هذا الميدان ، فألفوا الكتب فى العلوم الدينية والتاريخية بل قل ان نجد واحدا منهم لم يقل الشعر ، أو على الاقل لم يكن يرويه ويستشهد به ويتذوقه ، ولبعضهم

دواوين تضم شعرا ممتازا اذا قورن بشعر الكثيرين من شعراء العصر ، والشواهد على هذا كثيرة .

فمؤسس الاسرة صلاح الدين كان يستشهد بالشعر في مواطن كثيرة ، وكان يتردد على الاسكندرية مستصحبا أولاده ليسمعوا جميعا الحديث على الحافظ السلفى ، يقول **ابن واصل** في حوادث سنة ٥٧١ هـ:

« ثم رحل (السلطان) الى ثغر الاسكندرية ، وتردد الى الشيخ الحافظ أبى طاهر أحمد بن محمد السلفى - رحمه الله . فى كل جمعة ثلاثة أيام : الخميس والجمعة والسبت ، وانما استصحب ولديه في هذه السفرة ليسمعهما الحديث النبوى وتعمهما البركة ، ثم عاد » .

ويقول في حوادث سنة ٥٧٧ هـ :
« وسافر السلطان بعد شهر رمضان الى الاسكندرية على طريق البحيرة ، وخيم عند السوارى ، وشاهد الاسوار التى جددها ، وأمر بالاتمام والاهتمام ، وقال : فنغتنم حياة الشيخ أبى الطاهر بن عوف ، فحضر عنده وسمع عليه موطا مالك بن أنس - رحمة الله عليه - بروايته عن الطرطوشى ، في العشر الاخير من شوال ، وتم له ولاولاده السماع ، ثم عاد الى القاهرة في ذى القعدة » .

هذان مثلان قويان على مبلغ شغف صلاح الدين بسماع الحديث ، فهو يرحل الى الاسكندرية ليغنم حياة الحافظين أبى الطاهر السلفى وأبى الطاهر بن عوف ، وهو يستصحب أولاده خصيصا ليشركهم معه في السماع ، ويؤكد هذا الشغف مؤرخ صلاح الدين وقاضى عسكره بهاء الدين بن شداد فهو يقول في كتابه « النوادر السلطانية » :

« وكان - رحمه الله - شديد الرغبة في سماع الحديث ، ومتى سمع عن شيخ ذى رواية عالية وسماع كثير ، فان كان ممن يحضر عنده استحضره وسمع عليه ، واسمع من يحضره في ذلك المكان من أولاده ومماليكه المختصين به ، وكان يامر الناس بالجلوس عند الحديث اجلالا له ، وان كان ذلك الشيخ ممن لا يطرق ابواب السلاطين ويتجافى عن الحضور في مجالسهم سعى اليه وسمع عليه » .

وقال **ابن شداد** في مكان آخر :
« قلت له : قد سمع الحديث في جميع المواطن الشريفة ، ولم ينقل أنه سمع بين الصفين ، فان راى المولى ان يؤثر عنه كان حسنا ، فاذن في ذلك واحضر جزءا ، كما احضر من له به سماع ، فقرأ عليه ونحن على ظهور الدواب بين الصفين ، نمشى تارة ، ونقف أخرى » .

وكان اخو صلاح الدين اميل الى تذوق الادب وقول الشعر ، برز منهم في هذا الميدان اخوه الصغير تاج الملوك بورى ، قال ابن واصل فى ترجمته له : « كان - رحمه الله - فاضلا أديبا شاعرا ، له ديوان شعر مشهور » ، ولولا أنه مات صغيرا في سنة ٥٧٨ هـ عند حصار حلب لكان له في الشعر شأن أى شأن .

وسار على هذا النهج أولاد صلاح الدين وأولاد اخوته وأولاد عمه ، فقد كان الافضل بن صلاح الدين « فاضلا متأدبا ينظم الشعر الجيد » وروى له ابن واصل بعض هذا الشعر .

أما الكامل محمد والمعظم عيسى - ابنا العادل - فقد اشتغلا بالعلم كأحسن ما يشتغل به علماء عصرهما ، وفى كتاب « مفرج الكروب » وصف تفصيلى لمجالس العلم التى كان يعقدها كل منهما لهؤلاء العلماء ، يقول **ابن واصل** :

« وكان الكامل محبا للعلماء ومجالستهم وسماع مناظراتهم ، وكانت عنده مسائل غريبة من الفقه والنحو اذا حضر الفقهاء والنحاة سألهم عنها ، وامتحن بها علومهم فمن أجاب منهم بالجواب الصحيح حظى عنده وقربه ، وفى بعض أسفاره الى دمشق استحضر بها جماعة من العلماء ، وكان منهم الشيخ زين الدين بن معطى النحوى المغربى وكان اماما فى العربية لا يجارى » .

ثم يروى بعض المناقشات النحوية التى حظى بسببها ابن معطى لدى الكامل ، ويكمل وصفه بقوله :

« ووفد الى الملك الكامل جماعة من أهل العلم فاكرمهم وقرر لهم الجامكيات وأحسن اليهم ، فممن وفد اليه الشيخ تاج الدين الارموى امام وقته فى الاصوليين والمعقولات ، واقام عنده مدة مكرما معظما ووفد اليه ايضا الامام أفضل الدين الخونجى ، وكان فاضلا فى المنطق والمعقولات والطب .. وكان الملك الكامل مغرما بسماع الاحاديث النبوية ، شديد العناية بجملة الحديث النبوى ، وممن وفد عليه من علماء المحدثين الامام مجد الدين أبو الخطاب عمر ابن دحية ، فتقدم عنده واكرمه وبنى له دار الحديث

بين القصرين في الجانب الغربي ، وجعله شيخها ، ووقف عليها وقفا جليلا ، وكان يصعد اليه في القلعة في غالب الاوقات ويستفيد منه .. وكان - رحمه الله - يبيت عنده جماعة من الفضلاء في بعض الليالي يأنس بهم ، مثل الشيخ جمال الدين اليمنى النحوى ، والفقيه عبد الظاهر ، والامير صلاح الدين الاربلي ، وكان متأدبا وله شعر حسن ، وكان ينصب لهم تخوتا الى جانب تخته ينامون عليها ، يشاورونه ويحاورونه في العلوم والآداب » .

الى أن يقول :

« وبالجملة فكانت سوق الفضائل عنده نافقة ، ما قصده أحد من أهل الفضل الا واعتنى به ، وكان في خدمته القاضي الشريف شمس الدين الارموى - قاضي العسكر - ، وكان فاضلا في الفقه والاصوليين ، يبحث بحثا حسنا ،وكان اخص الناس بخدمته أولاد الشيخ صدر الدين بن حمويه ... الخ » .

وعندما وردت الى الملك الكامل أسئلة الامبراطور فردريك الثاني في أنواع الحكمة والرياضيات ندب للاجابة عليها عالما مصريا هو علم الدين قيصر الاسفوني « لانه كان المشار اليه في ذلك » .

ومن هذه النصوص يتضح لنا ان الكامل كان يساهم في كثير من العلوم ، ويشارك العلماء في بحث معضلاتها والسؤال عن غامضها ، وكان بلاطه يضم العلماء في كل فن : في الحديث والفقه والمنطق والنحو والطب والرياضيات ... الخ

أما المعظم عيسى فكان - كما يقول ابن واصل :

« فاضلا متقنا في الفقه والنحو وغير ذلك ، وشيخه في النحو وعلم الأدب الشيخ تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندى .. وكان شيخه في الفقه الشيخ جمال الدين الحصرى ، وكان يتردد الى الشيخين في أكثر الاوقات ، وربما أتى اليهما ماشيا وقرأ على الشيخ تاج الدين كتاب سيبويه » .

وكان المعظم الوحيد من بني أيوب جميعا الذى يعتنق المذهب الحنفى ، لهذا **يروى ابن واصل** أنه لما وقف على تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، « وفيه مطاعن على أبي حنيفة - رحمه الله - رواها الخطيب عن جماعة من المحدثين رد عليه المعظم في ذلك ، وصنف كتابا سماه (السهم المصيب في الرد على الخطيب) ، وأجاب الملك المعظم في هذا الكتاب عن كل مطعن ذكره بأحسن جواب ، وذكر فيه مباحث جليلة دقيقة في الفقه والنحو » .

ويروى ابن واصل بعد ذلك أنه اطلع على هذا الكتاب ، ويقرظه بقوله :

« ووقفت على هذا الكتاب بالقدس الشريف ، وطالعت جميعه ، ووجدته في غاية الحسن ، ثم ذكر في آخره مطاعن الخطيب صاحب تاريخ بغداد ، وروى له أشعارا غزلية طعن بسببها في عدالته .. وصنف (أى المعظم) غير ذلك من الكتب » .

وكان المعظم عيسى كأخيه الكامل محمد كثير الاحسان للعلماء والادباء ، يجتذبهم اليه فيتخذهم خاصته ، يجالسهم ويساجلهم ، يقول ابن واصل:

« وكان عنده جماعة من الفضلاء لا يفارقونه في سفر ولا حضر ، منهم فخر القضاة نصر الله بن بزاقة المصرى - وهو فاضل في فنون الادب والنظم والرسائل ، ومنهم شرف الدين ابو المحاسن بن عنين الدمشقي - كاتب الانشاء - وغيره ، وكان أيضا من مجالسي الملك المعظم : جمال الدين بن شيث - كاتب الانشاء ، وكان جيد الترسل متأدبا ، وكان مع ذلك مغرى بصنعة الكيمياء » .

وكان الواعظ والمؤرخ سبط بن الجوزى من أقرب المقربين الى المعظم عيسى ، يحضر بنفسه مجالس وعظه في مساجد دمشق ومدارسها ، وقد روى السبط الكثير من أخباره مع المعظم في تاريخه المشهور : « **مرآة الزمان** » .

وقد ورث الملك الناصر داود عن أبيه المعظم هذه النزعة الطيبة ، فكان عالما وأديبا ، وله شعر كثير جميل ، روى الكثير من أبياته ابن واصل وغيره من مؤرخي العصر ، وكان بلاطه في مدينة الكرك يضم عددا كبيرا من علماء العصر وأدبائه ، وخاصة المشتغلين منهم بالعلوم العقلية ، مثل سيف الدين الآمدى ، وشمس الدين الخسر وشاهي ، ونصر الله بن بزاقة ، وقد عاشر جمال الدين بن واصل والده مدة في كنف هذا الملك العالم في الكرك ، وفي كتاب « مفرج الكروب في اخبار بني ايوب » لابن واصل تفصيلات طريفة عن بعض المجالس العلمية التي كانت تعقد في حضرة الناصر داود بالكرك .

هذه نبذ متفرقة للدلالة على مبلغ عناية صلاح

الدين واخوته واولادهما بالعلم والعلماء ، ولم يكن اولاد تقى الدين عمر بن شاهنشاه ـ ملوك حماة ـ أقل عناية ممن ذكرنا ، لقد كانوا جميعا يتوارثون هذه الروح العلمية ابنا عن أب وأبا عن جد . فكان مؤسس هذا الفرع الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه أديبا شاعرا ، روت المراجع المعاصرة بعضا من شعره مما قاله في مدح عمه صلاح الدين يوم فتح بيت المقدس ، وكان ابنه الملك المنصور شاعرا كذلك ، وفى كتاب « مفرج الكروب » بعض هذا الشعر ، نقله ابن واصل عن « ديوان المنصور » ، ثم ذكر انه الف كتابا في التاريخ سماه « مضمار الحقائق في علوم الخلائق » .

وكان المظفر الثانى ابن المنصور مشتغلا بالعلوم وخاصة العلوم الجغرافية والفلكية ، ذكر أبو الفدا في ترجمته للعالم الرياضى علم الدين قيصر انه بنى للملك المظفر أبراجا بحماة وطاحونا على نهر العاصى وعمل له كرة من الخشب مدهونة ، رسم فيها جميع الكواكب المرصودة ، قال جمال الدين بن واصل :

« وساعدت الشيخ علم الدين على عملها ، وكان الملك المظفر يحضر ونحن نرسمها ويسألنا عن مواضع دقيقة فيها » وهكذا كان المنصور الثانى بن المظفر الثانى ، ويكفى أن نذكر هنا أن ابن واصل عاش فى كنفه ، وولى قضاء القضاة فى حماه فى عهده ، وله الف كتابيه : « مفرج الكروب في أخبار بنى ايوب » ، و « مختصر الاغانى » .

وآخر من نبغ فى العلوم من ملوك هذا البيت : الملك المؤيد أبو الفدا ، المؤرخ والجغرافى ، وصاحب كتابى : « المختصر فى أخبار البشر » و « تقويم البلدان » .

لم يكن عجيبا اذن وهذا مدى اهتمام ملوك بنى أيوب بالعلوم والآداب ، ومبلغ اشتغالهم بها ان تنشط الحركة العلمية فى عهودهم نشاطا لم يشهده العصر السابق أو العصر اللاحق ، فالمعاهد العلمية من مدارس وخوانق وربط وبيمارستانات ومكتبات قد انشئت بالعشرات ، والرواتب والجامكيات كانت تمنح للعلماء والادباء فى غير ضن أو بخل ، مما دفع العلماء الى التفرغ للبحث والتصنيف ، وكانت المنافسة على أشدها بين ملوك هذه الاسرة لاجتذاب العلماء الى بلاطهم ، واغداق النعم عليهم ، لهذا تعددت البيئات العلمية فى ذلك العصر ، فكانت القاهرة ودمشق والقدس والكرك وحمص وحماة وحلب تحاول كل منها ان تكون السباقه على غيرها فى كثرة ما يبنى فيها من معاهد ، ومن يقيم بها او يرد عليها من علماء ، وملوك هذه المدن يبذلون المال والتشجيع فى سخاء ، واتى هذا التشجيع أكله وثمره ، فاكب العلماء على الدراسة والتأليف ، وكانت معظم كتبهم تؤلف باسماء الملوك الذين يكلفونهم ، والامثلة على ذلك كثيرة :

فالطبيب المشهور موفق الدين بن المطران الف المقالة الناصرية فى الطب ، وجعلها باسم السلطان الملك الناصر صلاح الدين

والطبيب رشيد الدين بن الصورى خدم بصناعة الطب الملك العادل أبا بكر وابنه المعظم عيسى ، وبعد موت الاخير خدم ابنه الملك الناصر داود « فأجراه على جامكيته (مرتبه) ، ورأى له سابق خدمته ، وفوض اليه رياسة الطب» ، ويذكر ابن أبى أصيبعة أن له « كتاب الادوية المفردة ، وهذا الكتاب بدأ عمله فى أيام الملك المعظم وجعله باسمه ، واستقصى فيه ذكر الادوية المفردة » .

وللمعظم عيسى الف شمس الدين الخولى كتابا يشتمل على رموز حكمية على ألقاب السلطان الملك المعظم » .

كما ألف الطبيب أسعد الدين بن أبى الحسن كتابه « نوادر الألباء فى امتحان الاطباء » للملك الكامل محمد .

وصنف مهذب الدين أبو سعيد محمد بن أبى حليقة كتابا فى الكحل للصالح نجم الدين أيوب ولنفس الملك الف العالم الكبير ابن البيطار كتابه المشهور « المفردات » .

وصنف رشيد الدين على بن أبى خليقة ـ عم ابن ابى اصيبعة ـ كتابه « الموجز المفيد فى علم الحساب» و « مقاله فى السبب الذى له خلقت الجبال » للملك الامجد صاحب بعلبك ، كما الف « كتاب المساحة وكتابا فى الطب » للملك المؤيد نجم الدين مسعود ابن صلاح الدين .

كما ألف شمس الدين الآمدى كتاب « كشف التمويهات فى شرح التنبيهات » للملك المنصور الثانى صاحب حماة .

ولنفس الملك الف المؤرخ الكبير جمال الدين واصل كتابيه : « مفرج الكروب فى أخبار بنى ايوب » و « مختصر الأغانى » .

دكتور جمال الدين الشيال

ابريق خمر يتحول غزالاً!

للدكتور محمد النويهي

شرحنا في مقالتنا الماضية الطبيعة البصرية للخيال الجاهلي ، ووضعنا مايحتاج اليه قارىء هذا الشعر من « تشغيل » مخيلته البصرية واستحضار دقائق الصورة المرسومة الى ذاكرته حتى يصل الى التقدير الصحيح لشعر الجاهليين ويستجيب له بالنشوة الفنية الخاصة التي وضع لاستثارتها . ونريد الآن أن ندرس عددا من الأمثلة .

اليك هذين البيتين في وصف ابريق الخمر للشاعر الجاهلي القديم علقمة بن عبدة (تجدهما في قصيدته رقم ١٢٠ في كتاب المفضليات) . وكان الشاعر في مجال الحديث عن مجالس الشرب التي يشهدها والخمر المعتقة التي يشربها :

كأن ابريقهم ظبي على شرف
مفدم بسبا الكتان مرثوم

أبيض أبرزه للضح راقبه
مقلد قضب الريحان مفغوم

ولنبدأ باعطاء المعنى اللغوي الذي يقدمه الشارح القديم لكلا البيتين . فالشاعر في البيت الأول يشبه انتصاب الابريق وبياضه بظبي على مكان مرتفع . ويذكر أنهم شدوا على فمه بسبائب الكتان أي شققه (هم فعلوا ذلك لتصفية الخمر حين يصبونها) . والمرثوم الذي رثم انفه أي كسر . وفي البيت الثاني يقول ان لون الابريق أبيض (نفهم من هذا أنه مصنوع من الفضة) . ويذكر أن راقبه ، أي حارسه وحافظه الذي كان يرقب صلاح الخمر وتعتيقها ، قد أخرجه لتصيبه الشمس والريح ، وانهم قد زينوه بأعواد من الريحان الزكي الرائحة . والمفغوم الذي كأنه مسدود بكثرة ريح الطيب، يقال فغمتني ريح طيبة اذا دخلت في أنفك فسدت خياشيمك (نفهم من هذا أنهم مزجوا الخمر بانواع العطر ، وهو ماكانوا يفعلونه أحيانا ، كما كان يفعله العبرانيون القدامى) .

بهذا الشرح اللغوي (وما وضعناه بين قوسين من اضافتنا) يكتفي معظم الدارسين . ولو وقفوا أمام البيتين فانفقوا دقائق في تحقق الصورة المزدوجة للابريق والظبي لراعتهم أقوى روعة بدقتها الحسية من ناحية ، وبحيويتها الدافقة من ناحية أخرى ، ولرأوا أخيرا أن الابريق بهذا التشبيه لم يعد مجرد اناء جماد مصنوع من الفضة ، بل انه كاد يصير مخلوقا حيا بالغ الرشاقة والظرف عظيم الفتنة والازدهاء .

فلنتأمل نحن هذه الصورة المزدوجة ولنحاول تحقيقها بخيالنا البصري لبضع دقائق . ابذل اذن جهدك في أن تتخيل رابية قد انتصب عليها هذا الابريق المصنوع من الفضة في ضوء الشمس ، وانظر كيف يتلألأ عليه هذا الضوء وتتكسر على صفحته البيضاء الرائقة الوف أشعتها في وهج يخطف الابصار ، ثم أغمض عينيك برهة لتحقق جسم الابريق بتفاصيله (ويساعدك على هذا أن تكون اطلعت على صور لما تحتويه المتاحف العالمية من الاباريق الفارسية القديمة) . من بطن نحيف مستطيل يحتوي الخمر ، وعنق طويل جميل الصنع يصعد الى السماء في تطاول وخيلاء كأنه مزهو برشاقته ، وفوهة طويلة مقوسة تمتد في انحناءة الى جانب وتنتهي بفتحة « مشطوفة » ستصب منها الخمر ، ويد معقوفة في الطرف الآخر .

ثم أترك هذه الصورة وتخيل صورة أخرى لظبي أبيض قد انتصب على رابية ، فهو أيضا يتألق جلده البض في ضوء الشمس ، وتمسه الريح من حوله .

والآن قارن بين الصورتين ليتجلى لك التشابه الرائع بينهما . نفس الجسم الابيض على وجه التقريب يلمع فى أشعة الشمس وتداعبه الريح المنطلقة . ونفس الانتصابة الفاتنة المليئة بالظرف والخفة والرشاقة (والظبى هو الرمز الاكبر على هذه المعانى فى كثير من اللغات » .

ولكن أنعم الآن نظرك فى تفاصيل أخرى دقيقة ، ستهتدى اليها ان كنت قد لبيت رجاءنا فتخيلت الصورة تخيلا بصريا . فجيد الظبى الطويل الممتد الرشيق يشبه حقا فوهة الابريق الممتدة فى تقويس بديع ، بل انتهاء هذه الفوهة بالفتحة المشرطوة (حتى تساعد على صب الخمر بدون اراقة على الجوانب، كما ترى أيضا فى أباريق الشاى العادية التى تعرفها) يشبه رثم أنف الظبى ، وهذا الرثم من أحلى صفات الظبى الجسمية وابعثها لحبنا واعجابنا ، حتى لنمد يدنا حين نلقاه فى حدائق الحيوان لنلمس أنفه الظريف المخملى . فالآن قد أدركت قوة هذه الكلمة الواحدة « مرثوم » وروعتها ومدى ابتعاثها للعاطفة المعينة ، كما ادركت مدى دقة نظر الشاعر اذ اهتدى الى هذا التشابه اللطيف بين أنف الظبى وفتحة فوهة الابريق . فاذا كان فى صورته قد وضع شقة من الكتان على فوهة الابريق ، فان عينه الدقيقة قد رأت « **شطفة** » الفوهة تحت تلك الشقة الرقيقة .

***

ولكن لاتنس تشابها دقيقا آخر هو ذلك الذيل المنحنى الذى ينتهى به جسم الظبى من الطرف الآخر ، ومشابهته ليد الابريق المعقوفة التى لاحظناها .

مجرد هذا التصور الحسى يقنعك بمدى التشابه الذى وفق الشاعر الى رؤيته ونقله فى تشبيهه البارع . ولسنا ندعى أن الجسمين جسم الظبى وجسم ابريق الخمر متفقان فى كل شيء ، والا كان التشبيه من نوع تشبيه الماء بالماء ، وانما يجود التشبيه حين يقارن بين شيئين بينهما اختلاف ، فيلفتنا الى الشبه الموجود بينهما على الرغم من ذلك الاختلاف ، وكلما كان هذا الشبه اكبر حاجة الى دقة التصور ونشاط الخيال كان التشبيه أجود وكان امتناننا للفنان الذى بصرنا به أعظم .

ولكن تذكر الآن حقيقة هامة : أن الشاعر كشاعر لا يقصد من هذا التشبيه مجرد التسجيل البارد لوجوه الشبه المادية ، بل هو يستعين به لحمل عاطفته اليك فى تمام قوتها وحرارتها . فما عاطفته هنا ؟ هى حبه الزاخر لهذا الابريق واستطرابه لمنظره ، فالذى فعله هذا التشبيه هو انه خلع على الابريق صفات الرشاقة والظرف والخفة التى نقرنها دائما بالظبى ، لكن هذه الصفات لم تبق مجرد أوصاف حسية لأحجام ونسب ومواقف مادية ، بل لفتتك فجأة الى ما فى جسم الابريق الجيد الصناعة من صفات « حية » يراها الفنان الأصيل ويقتنع بوجودها اقتناع الآخرين بالصفات المادية التى تلمس وتحس . فاذا أردت أن تزداد ادراكا لما يؤديه هذا التشبيه من « احياء » للابريق ، فسل نفسك هذين السؤالين : لماذا نصبوا الابريق على ذلك المكان المرتفع هو أيضا ؟

***

أما اول هذين السؤالين فقد أجاب عليه الشاعر نفسه ، حين قال « **أبرزه للضح واقبه** » . فالشاعر قد ذكر أنهم أخرجوه لتصبيه الشمس ، والشارح القديم قد أكمل الصورة حين قال : لتصيبه الريح ، والشاعر قد وصف فى بيتين سابقين كيف أبقوا الخمر فى دنها سنة كاملة حتى تجود وتعتق ، وكيف أخرجوها من الدن وصبوها فى الناجود أو الراووق، وهو اناء من الزجاج تصب فيه الخمر وتمزج بالماء أو بالعطر أو بكليهما . فالآن بعد مزجها وترويقها قد ملأوا منها ابريقا ، ثم لم يسارعوا الى شربها ، بل نصبوا الابريق فى الشمس والهواء فوق مكان مرتفع ، حتى يسوغ طعمها تماما وتطيب رائحتها ، ويزول منها ما علق بها من أثر الاختزان الطويل فى دنها من رائحة تعلق بالأشياء المخزونة (وهم فى مواضع أخرى يصفون ما علق بدنها من نسج العنكبوت) . فهذه الشمس تطهرها وتزكيها ، وهذه الريح تتم جلاء رائحتها وتطرية طعمها .

***

هذه الخمر اذن قد خرجت الآن ، للمرة الأولى ، الى الشمس والهواء ، الى الحياة ، بعد طول اختزانها فى بطن دنها المظلم المعزول عن الهواء (وقد وصف الشاعر فى بيت سابق كيف بالغوا فى هذا العزل واتخذوا أقصى ما كانوا يستطيعون فى ذلك العصر من حيطة) .

وهذا يســاعدنا فى الاجابة على سؤالنا الثانى الذى ترك لنا الشاعر أن نجيب عليه ، والشاعر ، أى شاعر ، لا يمكن أن يقول كل شيء ، ولابد من أن يترك لنــا تمثل عناصر من معنــاه معتمدا على مشاركتنا الفنية ، أترى الشــاعر جاء بالظبى المنتصب على مكان مرتفع لا لسبب الا ان ذلك « ابين لحسنه واشد لانتصابه » ، كما يقول الشارح القديم ؟

ما ان نفكر قليــلا حتى ندرك أن الشاعر يعنى ظبيــا صغيرا أى غزالا قد خرج من كناسه للمرة الاولى ، فقد كانت أمه بعــد ولادته تحفظه تحت الاشجار الكثيفة الملتفة وقاية له حتى يشتد ويقوى على أرجله ، فالآن سمحت له بالخروج من الكناس ، هذا الغزال يقف فوق الرابية فى ضــوء الشمس الساطع ومس الهواء المنطلق للمرة الأولى ، يقف مبهورا طروبا جذلا منتشيا بتجربته الأولى فى عالم الحياة الواسعة المشرقة ، المائجة الزاخرة ، فهو يمد جيده الطويل الرشيق الى الامام فى تشوف وفضول وتعجب وانبهار مما يرى منضوء هذه الحياة ومايحس من نسيمها وحركتها ونشاطها واصواتها ، فما أروع انتصابته هذه وما أحفلهــا بالمعــانى والعواطف والاحاسيس .

***

يساعدك على تصور هذا المنظر ان تكون اطلعت على صور لأفراخ الطيور أول ماتكسر قشرة البيض وتمد أعناقها النحيفة العــارية محملقة بعيونها الواسعة البريئة الى هذا الكون الغريب المثير خارج البيضة فى فضول وتشــوق ومزيج من الخوف والرغبــة فى الانطلاق ، ثم ما تلبث مغامرة الحياة أن تغلب خوفها فتنطلق من البيضة بفرحة ونشاط مقبلة فى جرأة على هذا العالم الزاخر المائج بخطوات متعثرة تثير ضحكنا لكنها تثير أيضا أقوى عطفنا وشفقتنا وحبنا .

فاذا عدت الآن الى صورة الابريق المنتصب على الشرف أدركت مدى ما أكســبه هذا التشبيه من حيوية ونشاط ، فخيال الشاعر يوهمه أن الابريق فى انتصابته الرشيقة يقف أيضا سعيدا مسرورا فخورا بما يحمله جوفه من خمر معتقة ، طروبا بما تفعله الشمس والريح من تزكيتها وتطهيرها ، وانه يمد عنقه الظريف متطلعا الى الرفاق متشــوقا الى اللحظة التى سيقبلون فيهــا عليه ويتعمون بالخمر الجيدة التى يحملها ، والحقيقة بالطبع هى أن الشاعر هو الذى يتطلع الى ذلك الابريق فى شغف وحبور متشوقا الى اللحظة التى سيتم فيهــا تطهير الخمر وتعطير رائحتها وتطرية طعمها فيصبها من الابريق ويسعد بمذاقها الحبيب

ففى تاملك فى البيتين لا تقصر نظرك على الغزال أو الابريق ، بل تخيل الطرف الثانى من هذه التجربة الرائعة وان لم يذكره الشــاعر ، فعليك أنت أن تتذكره ، وهو الشاعر نفسه، اذ وقف عن بعد يراقب ذلك الغزال مفتونا بملاحته ورشاقته (وهى تجربة حدثت لهم كثيرا فى أسفارهم الطويلة فى جنبات الصحراء ، ومراقبتهم لكثير من الوحوش فى حياتها البرية الآمنة) ، أو يرقب ذلك الابريق مروعا بجسده الفضى المتلألىء وصنعه الاتســقيابى الحى متلهفا الى خمره الجيدة المعتقة .

***

فان أردت تجربة متــابهة مما يحدث فى واقع حياتنا المصرية المعاصرة ، تجربة تعينك على اجادة التمثل للصورة وما تزخر به من الانفعالات ، فتذكر كيف نملأ « القلة » بالماء الذى مزجناه بالماورد ، ثم ننصبها فوق جدار أو « زلوع » أو حافة « بلكونة » ، بعد أن تقلدها فروع الليمون أو البرتقال أو غيرهما من نبات عبق ، زينة لها وتعطيرا لرائحتها ، وكيف تنتصب القلة على مكانها العالى انتصابتها اللطيفة المحببة الى قلوب المصريين، وكيف نرنو اليها متشوقين وبخاصة فى ختام نهار من أيام الصوم فى رمضان ، فان كانت هذه تجربة افســدتها علينــا الثلاجات الكهربائية فى المدن فانها لا تزال مأثورة فى القرى نمارسها كلما عدنا الى ريفنا المصرى فى يوم عطلة .

***

اترانا كنا مبــالغين حين ادعينا أن تشبيه علقمة للابريق بالظبى قد « **أحيا** » الابريق ؟ أترانا يجوز لنا الآن بعد أن أنعمنا النظر فى هذا التشبيه أن نخالف أبا العلاء حين ذكر البيتين فى « رســالة الغفران » ، وقال عن علقمة : «خسر وكسر ابريقه» ، فنصيح : الا لا خسر علقمة ولا كسر ابريقه !

« **دكتور محمد النويهى** »

ـ ورائهم ـ

للدكتور أحمد كمال زكي

(١)

هو **يوسف الخال** ذكرني به **عبد الوهاب البياتي** من حيث البداية التي تبدو دائما مبشرة، ثم لايكون الا القليل حتى يقع الانحراف الذي يدمر كل شيء ويطيح بأرفع القيم واشرفها ٠

وعلى الرغم من افتراقهما على الدرب بحيث يظهر احدهمايساريا يصفق له الحمر وهو يدعو الىالسلام خلال معارك النضال العربي في القناة وأوراس ودير ياسين ، ويظهر الآخر اقليميا ذميما يتهجد في محراب تموز وفينيق ٠٠ فانهما يشتركان في التنكر للأرض التي درجا عليها ، وللأهداف التي تجمع عليها الأمة حتى لكأنهما موتوران يتصوران أن اية دعوة وحدوية غرضها تحكممصر في مقدرات العرب!

بل يشتركان في السلوك كأن الشيطان نفخ فيهما من روحه فصدرا عن هوى واحد ٠ واذا هما بعد يعفران الجباه على أعتاب السفارات ويسلمان قيادهما ليد الغاصبين ـ أيا كان لونهم ومهما تكن سيادتهم ـ ليؤكدا أن الاشورية او الفينيقية أهم من كل ما يستنفد فيه عرب اليوم طاقتهم ٠

أنا لا أتهم ، ولكني اقرر واقعا ٠٠٠

وفي حدود هذا فقط لا اقبل أن تكون القومية العربية في مختلف أبعادها نهبا لمثل هذين ، ولا ارضى ان يبرزها حركة فاشية لمجرد أن يظهر فيها واحد كعفلق او آخر كالحوراني ، فان من المؤكد أن اى شخص يبيع نفسه لمن يدفع لايملك حق المناقشة والاعتراض !

ان يوسف الخال ـ وهو من يعنينا هنا ـ لم يكتب وثيقة رجعته بعد ٠ أعني لم يعلن ـ كما أعلن أغلب الذين أدلوا بدلوه ـ براءته مما يصدر عنه على اساس أن جميع ما «كافح» في سبيله اصبح اليوم حقيقة ، أو أصبح المرء امامه شد اطمئنانا الى تحقيقه ٠

على أننا مهما نقلب القضية على وجوهها ومهما تكن كلمة الذين يريدون أن يغفروا له ولمثله ، فلن نصل الا الى نتيجة ينبغي أن نحسد عليها أنفسنا، هي أن ضعف الانسان كثيرا ما يضع عراقيل العاطفة في طريق التقييم الموضوعي الرصين للنفس الادبية بكل مكوناتها وافرازاتها ٠ وفي هذه الحال تنتفي حجة الذين يريدون أن يفصلوا بين « السلوك » و « الانتاج الفني » ليقولوا مثلا : ما لنا واقامته امام السفارات الاجنبية او ان يكون يدا لمن يخطط للصهيونية في المنطقة العربية ـ وصاحب هذه المقالة شاعرنا **عبده بدوي** ـ فان معنى هذه ان القشرة تكفي لقياس طعم الثمرة ٠

لقد اشتدت المناقشات حول « الموقف » او الايديولوجية في الايام الاخيرة بصورة تدعو الى الرثاء والمرارة معا ٠ وفي الوقت الذي أخذ فيه الجدل صورة عاطفية أكثر ممايجب ان يكون منطقا، جعل المنحرفون يعبثون ما شاء لهم العبث ثم اذا شاءوا كفوا مدعين أنهم لم يطيقوا ثوب الخيانة أو

أنهم ضللوا أو أنهم تنبهوا الى أن الاستمرار فى الخضوع للتبعية الاجنبية معناه قتل الادب الانسانى الصادق ٠

حقا كان هناك واحد **كالسياب** لم يضرب فى الجادة الا عام ١٩٥٢ وكان قبل شعوبيا يكاد ينكر أمثال **نازك الملائكة وعلى الحلى ومحمد جميل شلش،** وكان هناك أيضا شوقى بغدادى الذى بدأ بداية الحال ثم استسلم لاغراء المال ما تخرص على العرب وكذب ، وعاد تائبا قبل أن يتورط تورط شوقى أبو شقرا وعصام محفوظ واوكتافيوبات ٠ الا أن هذا لا يعنى قط أنهما فى المستوى القومى مع شاعر كحسن النجمى أو آخر كفواز عيد ، فما بالنا بمن ركب رأسه ولا يزال يقبض من خصومنا المال ؟

لا يستطيع أحد اقناعى بان الحكم الموضوعى وحده على شعر يوسف الخال بما هو شكل وفكرة يكفى لتقييم فنية صاحبه ، فان هذا يساوى تماما الحكم على أى نص بأن صاحبه فاشى أو بورجوازى أو بروليتارى متطرف ٠

اننا نريد النظرة المتفحصة التى تنظر فتجمع الأطراف وتتمعن فتصل الا الأعماق، ويتلازم عندها الشكل والموضوع والمضمون تلازما لا فكاك منه بأى حال ٠

(٢)

ومع ذلك فلو نظرنا الى يوسف الخال بعيدا عن سلوكه اللاقومى وبغض النظر عن خياناته المتكررة، فلن نصل الى ماوصل اليه الشاعر **عبده بدوى** فقط فيما كتبه عنه فى العدد ٥٧ من الرسالة (السنة الثانية) من حيث انه يعتقل قارئه فى كنيسة ويترجم مافى الانجيل فيكونمجرد مترجمت ـمسيحيا كان أو مسلما أو وثنيا ـ تضيق تجربته عن أن تتسع لكل الحياة ، وانما نصل الى أنه لا شعر له حتى يمكن أن نحدق فيه !

أجل ٠٠٠

وادراكنا لهذا يعنى أنه ناظم خزعبلات ليس الا ، حتى ليصح فيه قول الياس سحاب فى « الحوادث » التى صدرت فى ٣ تموز سنة ١٩٦٤ انه مهرج على رغم ادعائه وادعاء صحبه والمطبلين له انه مسيح الشعر الذى يصلب نفسه فداء للبشر ٠

ونحن لو سلمنا له عبثا بأحقية هذا الادعاء فليس يغنيه كايديولوجى مرتبط بقضية أن يكون كذلك، لأن فكرته فى اطارها الذى يقترحه لا تحمل أى مضمون تقدمى ومن ثم تسقط القالة الاخرى التى تقرر فى جرأة عجيبة أنه « شاعر مسيحى استطاع أن يجعل من أيديولوجيته شعرا » ولكنه فى واقع الامر صابىء ، لا يؤمن الا بالرفض ولا يرى ـ على ما يدل عليه شعره ـ الا العدم ٠

وجودنا انتظار ما يجيء
حين لا نكون فى انتظاره
نهاية المسير قمه
ونحن لا نسير
نظل فى السفوح كومه
تزحف أو تموت
ينسج ثوبها الأخير عنكبوت
و لايقال للجبال انتقل
للبحر يا امواجه ٠٠ الخلاص اقبل
وابتدئى الحياه
لا نور ٠٠ لا ظلام ٠٠ لا اله !

هو اذن ليس مسيحيا ، وهو أيضا لا قضية له ٠ وعلى هذا الأساس يكون ذلك القومى السورى المتآمر على عروبته مجالا خصبا للدراسة التى تبين كيف يمكن أن تختل القيم ويقحم على الشعر من ليس له من القوى الا أن يدلس ويهرج ٠

(٣)

من يوقظ الخطيئة
يمسح عنها صدأ السنين
يبنى قببا مضيئه
من خشب الأرزة من
رخام بعلبك كاسنا المضيئة
بخمرة لا تستحيل ادمعا
ولا دما ٠٠ قبلتنا بريئة
تخاف أن
توقظ فى قلوبنا الخطيئة
والله فى ديارنا مشرد !

والله المشرد عنده هو نفسه الذى أنكره قبل ، وهو الذى أصبح خاضعا لمقدراته حتى لينفيه اذا شاء ، أو يأخذ مكانه متى صلب . وفى استطاعة أى انسان عن طريق الخطيئة ـ والخطيئة ملازمة للانسان عند الخال ـ أن يحقق الخلاص ومن ثم يتأله . غير أن هذا التأله قلما يحدث ، فاذا حدث فان الخاطىء عليه أولا أن يلتقى بالشاعر ـ أى يوسف الخال ـ فى ذرا الألوهية ليظفر بلمسة منه ، فهذه اللمسة ايذان بميلاد الاله الجديد .

ان يوسف الخال فوق كل الآلهة ، وهو وحده الذى يجرؤ على مخاطبة الخاطىء قائلا بعد أن يظفره باللمسة الخالدة :

تصير بى ذاك الذى براكا

ويتخلل هذا التحول الفذ طقوس شاذة ترتفع فيها ايقاعات شوهاء استمدها من اناشيد الكنيسة، حتى اننا لنرانا ازاء شكل من أشكال الشعوذة على النقاد أن يحترسوا من طنطنتها مهما تغل بهم حرارة عاطفتهم .

وهذا التقدير لمسيحية الخال ـ وليست هى المسيحية الحقيقية ـ تجعلنا لا نعجب أن يكون لأيديولوجيته الهان : أحدهما مأخوذ من التوراة ، فهو قاس رعيب مخيف مدمر . والآخر* منتزع من الانجيل فهو طيب وديع سلبى يمكن أن يعزله الشاعر متى أراد ، ويمكن ان يشل قواه بتبنيه أن للموجود جذورا توغل فى الأرض وأن فى هذه الجذور أبعاد الحياة بأمسها باعتبار ما كان وغدها بالقوة :

الورق الذى يهر جسد

والسر فى الجذور

وفى الجذور امسنا

وفى الجذور غدنا !

واذن فالسؤال الخطير بعد ذلك هو: فى أى جانب هو بعد ذلك ، وما مدى شاعريته فى هذا الجانب ؟

ليس المهم فى سبيل الوصول الى الاجابة الصحيحة أن نستقرىء كل ما نظم ، فما جمعه فى ديوانه « البئر المهجورة » يكفى وحده لنقول : انه ليس فى جانب من مكان ما ! والمهم حقا هو أن نتأمل النتيجة المباشرة لشل قوى البارىء والاستعاضة عنها بقوى الجذور ، ففى هذه النقطة ـ وهى أساس نظمه ومعينه ـ نراه عالة على التموزيين يصطنع أنماطهم ويسلبهم اكليشاتهم ثم يحاكى على نحو ساذج حججهم دون أن يصورها التصوير المسدد .

ومن وراء هذا التقليد نظر زائغ الى وليم بطلرييتس وعزرا باوند واعتداءات صارخة على أرض اليوت الخراب !

ان « البئر المهجورة » فى الواقع لا يدل الا على شىء واحد هو أن ليوسف الخال منقارا يفتحه ليبعثر ما تبعثره الببغاء ...

انه استبدل بالله تموزا ، أو مزج بين احساسه بالمسيحية والاستشهاد التموزى على ما ظهر عند أدونيس والسياب ، وعلى مايقرره غيره من القوميين السوريين الذين يرون أن شرط بقائهم هو بعث امجاد الفينيق .

ومما لا شك فيه أن الجذور فى اطارها التموزى رمز خصب ثرى ، غير أن الخطورة فيه أن يتخذ بسهولة نقطة انطلاق الى صبا عات . ولقد نقبله ما كان فى حدود التجربة العاقلة التى لا تعرف الميل ولا التعصب ، فاذا لم يؤد الى الكشف الرشيد أو الى تحديد طريق العودة الى الله والى القيم الجديدة فلا ضرورة له على الاطلاق .

واشارتنا الى العودة فى حد ذاتها ادانة للشاعر من حيث لا يدرى لأنه ليس فى الحقيقة كالتموزيين ولا سيما شاكر السياب ـ عندما يضلون فى متاهة الجدب والموت والقلق فيتدخل المطر غالبا لانقاذهم وللبشارة بالبعث الجديد .

يوسف الخال ليس من هذا الصنف ، وان كنا نرى عنده عدة محاولات للتبشير ببعث ما . وهنا يعن للقارىء أن يتساءل عن مبرراته ومقوماته، فهل صحيح أن هناك جدبا فر منه الشاعر الى الخصب ؟ وهل صحيح أيضا أن القانون الكونى قائم أساسا على استشهاد تموز ؟ ثم اذا صح هذا هل يكون معناه أن نتخلى عن الدأب ما دامت سنة الحياة أن يتغيب تموز ويعود فى قانون ثابت مؤكد ؟

من الواجب ولا شك حتى باسم عدم التحيز أن يخامرنا الشك ، فاذا كانت الظواهر الطبيعية مؤكدة

فمن الواجب أيضا ان نسأل : الا يكون لغير تموز يد فى هذا البعث المتجدد ؟

ان المرحلة الاسطورية من تاريخ البشر قبلت تموزا لقصورها ، فلم تظل عند هذه المرحلة وقد دحض الدين تلك المسلمة الخيالية كما دحضتها تجربة العلم ؟ قد يكون ثمة مايربطنا بالماضى البعيد - على ما يؤكد يونج - وقد يكون فينا التطلع الى تهويمات الأمس التماسا للخلاص - أى خلاص ؟ - الا أن هذا اذا كان سبيلا الى اراحتنا فليس ينبغى ان نجعل تلك الاراحة نهائية ٠

هذا فى حالة التوافق الكامل مع الفكرة التموزية، أما اذا كانت قاصرة قصورها عند يوسف الخال فان القارىء لاريب يحار بين شتى صور تشده الى موقف غائم أو لا تشده الى شىء قط ٠ لقد سمعناه يقول انه عرف أن « سر الحياة » كامن فى الجذور التى تحمل الأمس والغد ، ولكنه لا يلبث أن يصرخ قائلا :

وها هى الجذور تسأل التراب
عن مصيرها ٠٠ والنهر لا يجيب
فى الصيف لا يجيب
فمن ترى يجيب هذه ٠٠
الجذور عن مصيرها ؟

وربما يعن لأحد أن يزعم أن هذه ليست حيرة ولا قلقا لكنها تعرف اكيد على طريق الخلاص فنقول: كيف تكون الجذور فى تلك الحال طريقا للخلاص ؟ لست أدرى ولكن أسعد رزوق يقترح أن تكون قصيدته « البئر المهجورة » وهى التى تحمل اسم ديوانه معلما على هذا الطريق ٠ فبعد أن وافق جبرا ابراهيم جبرا - وهو من خيرة مثقفينا لولا قصيدة المنثور - على أنه قطب من أقطاب التموزيين يؤكد أن تلك القصيدة تحل كل شىء عنده ، وقد غاب عنه أنه ضائع فيها بين تموز والمسيح وأنه كان يسأل : أترى اذا ضحى ابراهيم - بكل البئر المهجورة - بنفسه فى المعركة يتسنى أن تبنى الحضارة عودا على بدء ؟

الرابطة بعيدة كما ترى ، ولكن أسعد رزوق يؤكد أن الشاعر فى هذه القصيدة ومعه تموز والمسيح والانسان « المتتمز » كلهم أطراف متساوية فى المعادلة الرمزية التى تحل جوانب المشكلة وذلك هو الخلط بعينه ٠٠٠

فاما أن يكون الشاعر مسيحيا يحكم عليه بالصلب ، واما أن يكون تموزا فقط ، واما أن يكون الاثنين بمنطق مقنع وبغير تحامل على عقائد الآخرين٠

(٤)

وماذا بقى من نظمه بعد ذلك ؟

لاشىء ٠٠ الا مجاراة للمتعصبين على اللغة العربية مقتنصين مهجورها للفت فى عضدها ، وانه ليصنع صنيع أدونيس وسعيد عقل فيقول :

ترى يعود يولسيس
والولد العقوق والخروف
والخاطىء الأصيب بالعمى

يريد الخاطىء الذى اصيب بالعمى ، فاذا كان قد أعوزه التعبير السليم أو المألوف فى مثل هذا الموضع - وهو هين جدا كما نرى - فتعسر وتبلبل ٠ فمن حقنا عليه أن نقول له : كف ٠٠ حتى تتعلم الكلام !

ونظرا لضرورة مراعاة الاتجاه الوجدانى للفنان فضلا عن ضرورة النظر الى ملكاته واستعداده وثقافته وأيديولوجيته -مخالفين بذلك عبده بدوى- فانه لا سبيل الا أن نقول ان أعماله كلها كشخص وفن وتمرس واستيعاب لا تسلكه مطلقا ضمن الأفراد الأسوياء ٠

ومن هنا ٠٠ بل من هنا فقط يصح وصفه بأنه اسطورة ، وما اعجب الأساطير !

ولما كنا حريصين على فهم العوامل السيكولوجية والبواعث المجتمعية التى حفزته الى أن يصبأ صباءه ذاك فان أحدا لا يلزمنا بغير ما قلناه ، والا فهل ثمة دليل واحد على أنه يعيش اليوم فى مناخ صحى سليم ؟ ولماذا بالله فارق قومه ان كان عليه - كفنان اصيل كبير - ان يخاصمهم ؟

ان الكائن الحى انما يأتى ومعه قوى تضطلع بعملية التفاعل بين ذاته وذات المجتمع ، ويبدو أن هذه كانت عند يوسف الخال محملة بالعفن ، فلم تستطع يوما أن تتفتح على النور ، وصار حسبها أن تتفتح أو تصلب فى ملاهى أوروبا على نفقة فرنسا وعملاء الاستعمار يوم كنا هنا ندفع عن أرضنا أعداء السويس ومن ورائنا كل العرب المخلصين ٠

« د ٠ احمد كمال زكى »

منطق كبيرهم !

• بقلم محمد محمود شمس •

احاول هنا ان اعيد توزيع الجانب الانجليزى من مقال د. النويهى ـ دفاع عن شعراء الرفض ـ على نحو عربى .! وذلك لاهمية هذا الجانب من المقال فى حيثيات الحكم على **«فرقة الشعر المنطلق»** أو بمعنى ادق ، على طلائع هذه الفرقة .! و «قمة حرارتها الوطنية» كما يقول الاستاذ الدكتور صاحب المقال !

فهؤلاء الشعراء ونقادهم المتحمسون لهم ، يدركون تماما سبب مأساة فلسطين ، وقضية الاسلحة الفاسدة سنة ١٩٤٨ . ! ومن حيث ان القضية قضيتهم ، فليعينوا وزراء اعلام «للكيان الفلسطينى» او قادة «لمنظمة التوتر الفلسطينى» ، و «جيش فلسطين» .. وحتى لاتضيع مجهوداتهم الفنية والنقدية ونخسر نحن العرب الكثير .. الكثير !

استمع الى كبيرهم يقول :

« فلم تكن مأساة فلسطين الا النتيجة المحتومة لانحلالنا المادى والخلقى والوطنى ، وليس من سبيل الى محو عارها من سجل تاريخنا الا بمعالجة هذا الانحلال المعالجة التامة الابراء . وهل من سبيل الى هذه المعالجة الا بالاعتراف الامين ـ تصور ! ـ بما تبقى فينا من آفات ذلك الانحلال » . هذه الفقرة التى تلت حديث الرئيس جمال عبد الناصر فى غزة فى مقال د. النويهى المذكور لم تتبعها فقرات تبين بقايا هذا الانحلال المادى والخلقى والوطنى .. والادبى كذلك ، لنعرفه وندركه ونعترف به اعترافا امينا .. وامينا على نحو ما يريدنا الاستاذ الدكتور ليكتب الاستاذ عن هذا الانحلال بعنوان « هيا انحلالكم ياشباب العرب !» ولكن الاستاذ كتب بعد هذه الفقرة مباشرة عن الوطنية العتيدة الناضجة القيمة المثمرة والمفيدة .. عن بريطانيا !

«وهكذا تفهم الأمم الناضجة ذات الوطنية العتيدة معنى الوطنية القيم ونوعها المثمر المفيد ، ولو انك سالت انجليزيا مثقفا ، ما العمود الصحفى الذى يعده اعظم الأعمدة وطنية واكثرها فائدة لوطنه ، لما احالك الى ما تكتبه بعض صحفهم الرخيصة من تشدق بالعظمة البريطانية وتغن بالأمجاد البريطانية، بل لأحالك الى العمود المشهور « ذس انجلند » ـ وترجمها الدكتور ! ـ «انجلترا هذه» فى المجلة الاشتراكية المعادية للاستعمار «نيوستيتسمان» . ثم يتناول الاستاذ الحديث عن هذا العمود موجها حديثه لشباب العرب ومغفلا الحديث عن الانحلال المادى والخلقى فيقول :

«وتزداد عجبا من هذا العمود الفذ حين تعرف ان عنوانه «انجلترا هذه» مقتبس من قطعة شعرية من افخم ماكتب شكسبير فى مسرحياته التاريخية فى تمجيد انجلترا والتغنى العريض بمحامدها» وبالرغم من ان د. النويهى يحكم على شكسبير هنا انه مجد انجلترا وتغنى بمحامدها بأفخم ماكتب يسمى ـ فى فقرته السابقة ـ الصحف التى تصنع هذا الصنيع صحفا رخيصة !

ثم يتمم الدكتور رسالته فيقول ؟

«والنقاد الانجليز حين يصفون كاتبا أو شاعرا أو انتاجا أدبيا بأنه «وطني» لايعنون كما قد نظن انه

يقتصر على تمجيد الوطن ، بل يعنون ان من اقوى عواطفه التهابه بلهيب الغضب الوطني الذى يحمله على الادانة القوية لعيوب وطنه وحثا منه لمواطنيه على تلافيها ، والنقاد والمفكرون والمؤرخون الانجليز فى طول تجربتهم ونضج بصيرتهم – الانحلال المادى والخلقى والوطنى لنا ! – لايقرون بهذا فحسب ،بل يبلغ بهم الامر انهم حين يجدون اديبا وصل غضبه على نقائص وطنه ومواطنيه الى انه ذمهم فى شعره ونثره ، وتبرأ منه ومنهم ، واعلن الخروج عليه وعليهم لم يسرعوا الى قبول دعواه هذه بسذاجة ، ولم يتهموه بالخيانة والمروق – وهنا ينسى الدكتور النويهى ان الانجليز يتهمون الوطنيين فى مستعمراتهم بهذه التهمة دائما ، وانهم يؤمنون بالتخصص ! – ومن المنطق ان «يفهموا الاسباب العميقة التى دفعته الى ذلك الذم والخروج والرفض .! واقروا بأن صيحته الغاضبة هذه هى دليل بلوغه قمة حرارته الوطنية».

و د. النويهى يريدنا ان نطبق هذه النظرة على **«فرقة الرفض»** فهى نظرة نقاد شعب ناضج مجرب انجب بلفور ، والدكتور لم يقل فى حديثه عن النكبة ان بلفور انجليزى ، فقد يصبح فى نظره عربيا ، وبدلل لنا فى مقالته القادمة على ان بلفور من الشعب الناضج المجرب ، وكذلك من الشعب العربى المنحل ماديا وخلقيا ووطنيا ، شكله من هنا ومضمونه من هناك!

«د. النويهى» يريد ان يدلل على ان «الصيحة الغاضبة هذه للرافضين» دليل على بلوغهم قمة حرارتهم الوطنية .! – ولم يقل الفينيقية .. او اللاتينية .! – وهذا يعنى تماما أن نضع الذين رفضوا لغتنا وديننا وتراثنا العربى الاسلامى ، – بعد ان لطخوا شرفهم باستجداء السفارات الاجنبية وبعد ان اصبحوا مطية لهذه السفارات واغراضها .! – ان نضعهم فى مستوى الذين استشهدوا فى الجزائر وبور سعيد وبيروت والجنوب العربى الآن .. ومن قبل فى فلسطين .! وهل نستطيع ان نقول أكثر من ان استشهاد هؤلاء العرب دفاعا عن عروبتهم اكبر دليل على بلوغهم قمة حرارتهم الوطنية ..!

غير ان قائد الذين استشهدوا غالبًا مايكون احد الضباط ، وقائد الذين رفضوا غالبا مايكون اكبر النقاد ، مع الفارق الهام الذى لم ينسه الدكتور : «وهو ان هذه الفرقة – واطلق عليها هذا الاسم تيمنا باسم «فرقة الخنافس» التى هزت القارة الاوربية وامريكا هزا – تذهب الى سفارات الشعوب الناضجة المجربة ، اما الذين استشهدوا هؤلاء فقد جرت دماؤهم فى ارض الانحلال المادى والخلقى والوطنى فى ارض الذين لم يصلوا بعد الى ان يوجد فى صحفهم عمود «ذس ايجبت» هذه مصر ، وذش ردفان ! الخ .! ولم ضحى هؤلاء بدمائهم .. ان العدوان جاء لينقل اليهم النضج والتجربة والحضارة لقد استحقوا ان يركلوا بالاقدام وتخرب مدنهم . وتذبح اطفالهم كذلك ! انهم رفضوا الشعوب الناضجة المجربة .. التى انجبت بلفور ونفذت وعده ومازالت عليه حريصة وأمينة .!

ولكن لاباس من ان نقول على هؤلاء الشهداء ، انهم والشعراء الرافضون وصلوا الى قمة الحرارة الوطنية مسايرة للميثاق ودلالاته النويهية ، ولقد راى الدكتور النويهى فيما راى من آيات ان معظم الذين استشهدوا فى بور سعيد كانوا يرددون .. أودنيس – الخال .. نويهى .. لويس .. الخ .

ويكرر د. النويهى مرات فى مقاله التاريخى ، ان النضج والتجربة لمن يضربون الآمنين فى الجنوب العربى المحتل وقت صدور مقاله .. ويرجع سبب ذلك لانحلالنا ، غير مدرك بديهة اولية هى ان العالم باسره تغيرت مفاهيمه .. وخاصة بعد سنة ١٩٤٨ !! فلم تعد الشعوب الناضجة المجربة هى التى تقوم حياتها على اللصوصية والاستعباد واستغلال ثروات الشعوب .! فماذا اذن نطلق على الشعوب التى تحاول بناء حياتها وحياة اى انسان على الارض .. ونؤمن بحرية الشعوب والاخاء الانسانى .. والسلام .. ان المفاهيم الاستعمارية نفسها تغيرت يادكتور !! ان برتراند رسل حين يكتب الى الاهرام يفند الاعمال الاجرامية التى ترتكب باسم النضج والتجربة والحضارة فى الجنوب العربى يريد – فيما يريد – ان يدلل على ان الشعب البريطانى اعظم الشعوب ديموقراطية ! ولكن لكى نؤمن بهذا .. بالنضج والتجربة .. الخ لم تعد تكفينا مقالات .. نريد ان يقف هذا الشعب جيشه عن ضرب العزل .. العرب العزل .! لنستطيع النظر فى انحلالنا المادى والخلقى والوطنى .! وهو هدف نفس الفرقة .. فرقة الرفض .!

مع النيل

للدكتورة نعمات احمد فؤاد

— ٥ —

وقرى توماس وعافيه وابراهيم وعنيبةوفرقندى ، لم تهاجر بعد ومن المناطق التى تنتظـر دورها فى الهجرة (بلانة) ثان وثالث وجزء من (ابو سمبل)

نحن الآن امام قرية الجنينة والشباك والاسم كما يبدو شاعرى وطريف وربمـا تزيد طرافته اذا عرفنا ان هذه القرية ليس بها (جنينة) اذ انها تقع على الضفة الشرقية للنيل . وقد سارت الأخبار هذه الايام بأن اهالى الجنينة والشباك يعيشون فى قصة حبيبةاليهم . فقد اصروا عندما ازمعوا الرحيل على ان يصحبوا معهم طفلا عاش فيهـم منذ قرن مضي كالحلم الوردى او الطيف السـارى فتعلقوا بذكراه تعلقا يمتزج فيـه الحب بالتوقير الذى يحيله الزمن كلمـا تقادم الى كرامة تلتقى عندها الحقيقة بالخيالات والاوهام .

هذا الطفل اصبح عنوانا فى صحفنا اليوم بوصفه (الميت الوحيد الذى هاجر الى النوبة الجديدة) ففى قرية الجنينة والشباك الجديدة (كان الجثمان يسير فى مشهد مهيب تحف به الزغاريد ودقات الطبول .. بدلا من الصراخ والنحيب ومع ذلك فقد كان فى مقدمة المشيعين مندوبون عن وزارة الاسـكان ووزيرة الشئون الاجتماعية ومحافظ اسوان ورئيس مجلس مدينة كوم امبو وعشرات من رجال الشرطة والوف من اهالى النوبة الذين جاءوا لتوديع الشيخ الميرغنى الى مقره الاخير .)

ولم يكن الشيخ الا الطفل الذى لم يتجاوز الثانية من عمره حين صحبه والده الحسيب النسيب السيد محجوب الميرغنى شيخ الطريقة الميرغنية فى سفره الى السودان واختار ان ترسوا الباخرة على قرية الجنينةوالشباك ليواصل رحلته الى السودان وعند عودته توفى صغيره فى الباخرة فقرر الوالد المحزون دفنه فى نفس المكان الذى صلى فيه عند ذهابه الى السودان وسماه « محمد الكبير » .

وينسج الخيال الشعبى حول لفظة « **الكبير** » هذه قصة لاتخلو من غرابة على طرافتهـا فاهالى النوبة يؤكدون لمن يتساءل ان شـيخهم الطفل كان يرفض الرضاعة فى شـهر رمضان فاذا حل موعد الافطار اقبل الطفل على رضعته كما يقبل الصائم على طعامه فى ميقاته المعلوم ثم يصمت الراوى وكأنه يتساءل بدوره ، اليس عذرنا واضـحا فى التشبث به ؟؟ اليس من حقه **الاجلال والوقير ؟؟**

ان منطق «ذش انجلند» يوم كانت المستعمرات البريطانية لاتغرب الشمس عنها قـد انتهى ولكن الاستاذ د. توبهى يستطرد فيقول :

« انظر كيف يفخر البريطـانيون بشيلى وبيرون وايلد ويلز وشو وليس اقسى من هؤلاء تشريحا لجرائم البريطانيين وثقافتهم وكشفا عن مساوئهم وآثامهم » ولم يذكر بروفيمو وكريستين كيلر مع انهم من نفس الوزن والقافية .! ولكنه يقول «لقد ادركت الامة البريطانية ان هؤلاء كانوا انفع لهـا من المتغنين بالمجد البريطانى والشرف البريطـانى والتقاليد البريطانية الجليلة والعـدل البريطـانى الذى لايدب اليه فساد » .

ونريد ان نعرف كيف تمت هـذه الاستفادة ، وكيف شاركت فى تقدم بريطـانيا ، لنستفيد نحن ونسـتطيع النظر فى انحـلالنا المادى والخلقى والوطنى على ضوء هذه «اليوتوبيا» .! ارنا كيف تغسر ميثاقهم يادكتور ، وتناول الصـدق الفنى لفرقة الخنافس ، فهناك روابط فنية وثيقة بينها وبين «فرقة الرفض» التى تحـاول ان تكسبنا «البرود الانجليزى» فى مواجهتها .. فتقول .

«ان واجبنـا ان نتحمل كل مايقولون بصبر وسماح مهمـا يثر سخطنا الدينى ، ومهمـا يؤلم شعورنا الاخلاقى ، ومهمـا يجرح حساسيتنا القومية » .

اغفروا لى هذه الطريقة ، التى عرضت بهـا افكار هذا المقال .. انها طريقة انجليزية ، ولكن عربتها بعد ان اصيبت بالغثيان .

«محمد محمود شمس»

على ان هذه ليست المرة الأولى التى ينقل فيها الطفل الشيخ من مرقده فقد نقل جثمانه للمرة الأولى عام ١٩٣٣ عند التعلية الثانية لخزان اسوان . فقد اخطر النوبيون الجهات الرسمية وطلبوا اليها نقل الجثمان من مكانه الى مكان اعلى من منسوب المياه بعد التعلية (وحضر مندوب من الحكومة ومأمور المركز وطبيب الصحة الذى امر باحضار شهود رؤية ممن حضروا الدفن حتى يتأكد من ان السيد محمد الكبير مدفون فى هذا المكان ... وفعلا استدعينا اثنين كانوا على قيد الحياة عمر كل منهما ٩٠ سنة الاول اسمه عابدين غبيه والثانى اسمه داود محمد موسى وقررا كتابه ان هذا القبر هو قبر الحسيب النسيب محمد الكبير .. وبعد استجوابهم امرت الجهات المسئولة باستخراج الجثة .. وبدأنا عملية حفر الارض حتى وصلنا الى الجثة وكانت الدهشة عندما رأيناها كما هى وكأنها دفنت بالامس فقد رأينا النصف الأعلى من الجثة كما هو والنصف الاسفل سايما ولكنه منفصل عند المفاصل فرفعناه ووضعناه فى كفن جديد ونقلناه الى ارتفاع بعيد عن منسوب المياه) .

ومن الطريف والغريب ان اهل عنيبة ، حين انتشرت الملاريا بالنوبة سنة ١٩٣٤ طلبوا نقل الجثمان اليهم باعتبار عنيبه مركز النوبة فرفض اهل الجنينة والشباك الا اذا انتقلوا معه جميعهم الى عنيبه فالغى نقل الجثمان .. الى هذا الحد يغالى اهل النوبة بشيخهم الصغير الكبير فاذ ينتشر الوباء يفكر قوم ، فى مقام الروع ، فى الشيخ الميت دون الأحياء ، وفى غمرة الخطر المحدق يشغل آخرون به عن انفسهم فيرفضون نقله ويتبعونه ان القلب الانسانى اغلى شيء فى الدنيا اذا احب واذا دان بالوفاء .

ويبدو ان النيل فى هذه المنطقة يدلل قراه كما ندلله . فبعد (الجنينة والشباك) مررنا امام قرية (**مصمص**) وهى تذكرنا بالاستاذ مصطفى امين فى مطلع حياته الصحفية .

وتقع قرية (**توشكا**) على الضفتين .. اما الشرق ففيه مقبرة اثرية لـ (حكانفر) اى الحاكم الطيب وقد نهبت .. وحكا نفر كان حاكم المنطقة ايام توت عنخ آمون .

وفى ايام توت عنخ آمون كان هناك نبيل من النبلاء اسمه (حوى) .. وحوى هذا له مقبرة فى الاقصر . وقد وجد فى مقبرة (حكانفر) صورة له تمثله وهو يقدم القرابين الى حوى ليقدمها الى الملك .

وقرية توشكا كان بها مشروع طلمبات شرقا وغربا .

وبعد توشكا تاتى قرية (**ارمنا**) وارمنا اسم تديس قبطى .

نحن فى الطريق الى (**فرقندى**) سفح الجبل الذى يطل على النيل لونه برتقالى وهو مخملى الصفحة حتى ليخيل اليك انه من طمى لا رمل . وعندما ينتهى السفح البرتقالى نجد لافتة صغيرة كتب عليها (فرقندى) يكثف عندها النخيل .

ويلاحظ ان بيوت فرقندى سقفها مسطح لانهم يستخدمون فيه جريد النخيل الذى تسخو به منطقتهم .

البيوت التى تكاد تكون خالية والتى كانت حالية تمثل الفن الشعبى اصبحت الآن تخدم فنا آخر فهى فى الغروب تصنع من الشاطىء الذهبى وشفوف الاصيل والجبل والنهر والنخيل الباقى على العهد ، لوحات فاتنة يعرضها النيل الفنان .

ومن بعيد لمحت عينى على الجبل عربة تسير ... وراءها اثنان فى ملابس .. فرعونية زاهية .. يا الهى انها عربة رمسيس الحربية وانه هو فى ملابسه الزاهية وبزته ووقفته .. وهالته ايضا .. احلم هو ولكنى فى النهار وفى تمام يقظتى .. الموكب يقصد الشفق الوردى الذى يلون الجبل ويذهب صفحة النيل وخشعت روحى ماذا ارى ؟ فراعنة يا الهى ؟ وهتفت برفيقى انظر فقال : اين ؟ قلت هناك . .قال : ماذا قلت عربة وراءها اثنان فى زى فرعونى .. ومرة اخرى اخذ يردد اين اين ؟ لا ارى شيئا .. ولكنى كنت ارى كالمذهولة .. كنت ارى راى العين فأخذت اردد بدورى : هناك .. هناك .. ها هى .. عربة .. تسير ..

وكانت الباخرة قد اقتربت من المكان الذى رايت فيه ما رأيت فلم نجد شيئا .

مازال هذا المشهد حيا فى ذاكرتى وشعورى وسيظل بالوانه الزاهية .. بنوره .. بروعته .. بدهشته اقصد بدهشتى انا بروعى .. ان معابدهم مبثوثة فى هذه المنطقة لم .. لم لا يكون ما رايت حقيقة .. لقد رايت العربة . .رايتها تسير .. رايت رمسيس ولم اكن فى ذلك الوقت افكر فى المعابد ..

كنت فى هذه اللحظة مستغرقة فى النيل المتألق فى افراح الأصيل واذا بعينى ترى ما رايت.. هل شبه لى من امتلاء نفسيبهم خاصة فىهذه الرحلة ؟ ... هل الاغصان باوراقها والشفق منخلفها صنعت من بعيد هذا المنظر ؟ ربما ولكنى رايت العربة تسير .. رايتها تسير ...

ومرت فترة صمت طويلة كنت فيها هائمة سعيدة وكنت فيها حائرة شبه مرهقة كانت الوان من الشعور تلفنى ولا اتبين منها شيئا اولا يبين لى بينها موقف ... هل رايت ؟ نعم رايت.. احقا ؟ نعم حقا وصدقا .. الا يمكن ان يكون خيالا ؟؟ ولكنى رايت العربة تسير .. رايتها تسير .

الليل وبقايا الشفق وبقايا حديث وبقايا صمت والجبل شبه خط مستقيم كانه لاتضاريس به هل نام النيل وشرب منه الجبل فى هذه اللحظة فمسه عرق الصبا ؟ ان قومنا فىالصعيد يعتقدون ان النيل ينام لحظة فى ليلة القدر والسعيد من شرب منه فى هذه اللحظة فانه يهبه منالقوة ما يستطيع معه ان يمسح الريال بفركةمناصابعه — كما يقولون — اما الشقى فهو الذى يقتربمنه ساعة يقظته انهعندئذ يطويه.. وهو صدى لاعتقاد مصر القديمة فيه فقد كان اسلافنا يقولون بأن للنيل يوما فى السنة ينام فيه والسعيد من يشرب منه فى هذا اليوم انه يمده بفيض من القوة وروح من حياة .

من بعيد تلمع نجمتان على صفحة الماء .. اننا الآن موعودون بمعبد .. (ابو سمبل) . النجوم تكبر وتكثر انها الآن حبل من الثريات على صدر النيل من بعيد .

الانوار الان تبدو دائرية .. دائرة من النور وسط النيل يقابلها على الضفة اليمنى شريط من النور .. هل عاد اوزوريس وهل النور لمعة عيون ايزيس من الفرح او ابتسامات هائمة سعيدة يشرق بها وجه حورس .

السماء فوقى تلمع فيها فجاة نجوم كثيرة ، الجبل الآن يبدو امامى كانه استعرض فى النيل على شكل كوبرى ضخم يعلو ثلاث شوارع مائية .. وعلى البعد تقف عوامة مضيئة كقصر مسحور من قصور الأساطير كل شيء حولى اسطورة ، على النيل مسطورة فى النهر الخالد مسجورة .

ابو سمبل .. انا اكتب واقفة اجلالا للملوك ابناء الشمس ..

ابو سمبل وقد عكست عليه انوار الكشافات المغروسة فى الرمال عند قدميه .

عينى وقد تجمعت فيها حواسي كلها .. عينى تطل منها روحى ، على ملكى رمسيس الثانى .. لولا ضخامة التمثال لقلت لكم انى اراه ولكن هل يمكن ان يكون هذا الوجه من الحجر .. انه وجه حى .. وجه منعم بملامحه صافية .. عيون هائمة قريرة وشفاه ربا جذلانه تكمن فيها ابتسامة ينم عنها بشر الوجه كله ويخفيها او يداريها ولا يواريها ، وقار الملك وجلال الفراعين .

رمسيس وله الجلسة مطمئنة واثقة وسمت مستقر ظافر . **(اليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون ؟؟) .**

ان الاولين والآخرين فى خدمته اولئك نحتوا معبده فى الجبل وهؤلاء يقومون الآن بصيانته ورفعه فوق الجبل والى جانبه الجميلة نفرتارى كما اشتهى واختار .

ان مصر مولعة بتخليده فى القديم والحديث ..

انا لسعدى ، فخورة مبهورة ولكنى لست وحدى فالعمال امامى يعملون فى جو روحى وتسرى الى اذنى من على يمين وشمال الفاظ : حضارة .. فن فالتفت ماذا القائل اولئك الذين لوحتهم الشمس وشقق ارجلهم الحصي والرمال .. اولئك الكادحون المجهولون الذين يصنعون التاريخ بالقاذهم التاريخ ...

آمنت بالانسان المصرى الأول .. الذى روض الصخر وصادق النهر وتحدى قوى الطبيعة على قلة وسائله ونقل الاحجار ورفع البناء ورسم ونقش ونحت التماثيل لها شفاه ترى وعيون تبتسم .

وآمنت بالانسان المصرى الحاضر الذى آل على نفسه ان يستخلص من الجبل معابده غير عابىء بالصعاب لانه يعرف انه حفيد اولئك الذين لم يقف فى طريقهم شيء على طول التاريخ .

وآمنت بالانسان فى كل مكان فحولى فى كل مكان احل به وجوه مختلفة الالوان جاءت من وراء البحار تسعى للشرف الكبير انقاذ حضارة الفراعنة اى حضارة الانسانية ..

« دكتوره نعمات احمد فؤاد »

أحفاد المستشرقين

• محمد عبد الله السمان •

« **ليس من العدل فى شىء أن نقول** : ان كل المستشرقين الذين عنوا بالدراسات الاسلامية والشرقية ،قد تقايأوا احقادهم ضدالاسلام والشرق، وان كانت السمة الغالبة على تفكير معظمهم هى محاولة فتح منافذ يتسرب منها الطعن فى الفكر الاسلامى والتهوين من شأن الثقافة الاسلامية ويصل الغلو بهذه المحاولة احيانا الى درجة النيل من الاسلام عقيدة وشريعة للتشكيك فى صحة نسبته الى السماء .

ومؤلفات المستشرقين من الكثرة بحيث لاتعد ولا تحصى ، ولا سيما ماتناول منها الفكر الاسلامى وتراثه ، والحق الذى يجب ان يقال : ان بعض هذه المؤلفات الاستشراقية قد ادى دورا رئيسيا فى تعميق التفكير الدينى ، وفتح مسالك للجدل الجاد الهادف ، ولكن البقية بعد ذلك نفثت سموما فى هذا التفكير الدينى ، اقل ما يقال عنها انها مزيج من التعصب والحقد والهوى الأعمى .

واذا قيل هذا عن الكثرة من المستشرقين ، فان اليهود منهم خاصة يندر أن تمس النزاهة تفكيرهم، او يخطر العدل باذهانهم ، نذكر منهم – وليس على سبيل الحصر – البروفسور ل.ا. ماير . الذى كان رئيس معهد العلوم الشرقية فى الجامعة العبرية بفلسطين ، واحد الخبراء بالآثار والفنون الاسلامية، والبروفسور غ . وابل الذى كان استاذا للغتين التركية والعربية فى الجامعة العبرية ،واستاذا للعلوم الشرقية بجامعة فرنكفورت والبروفسور هى.بنيت الذى كان محاضرا فى اللغة والآداب والفلسفة العربية فى الجامعة العبرية ، والدكتور س.د.ف غويتاين الذى كان محاضرا فى نفس الجامعة العبرية فى التاريخ الاسلامى ، وفى تاريخ الديانة الاسلامية والحركات الدينية فى الاسلام ،ثم المستشرق المجرى الأصل اليهودى الجنس والعقيدة اجنتس جولد تسيهر ، ويكفى أن نعرض فى هذا المقال لهذا المستشرق اليهودى المتعصب الذى تفنن فى الكيد للاسلام وعقيدته وشريعته ، وقضى زهاء نصف قرن من الزمان يبحث وينقب فى الدراسات العربية والاسلامية ، يلتقط الروايات الهزيلة ، والأحاديث النبوية الواهية ، ويضع اصابعه على الخلافات المذهبية الدينية ، لكى يقيم قلعة محصنة بالتعصب المقوت ، يصوب منها قلاعا تستهدف الاسلام فى عقيدته وشريعته وتفكيره .

ولد جولد تسيهر فى يونيو عام ١٨٥٠ ، وتوفى فى بودابست عاصمة المجر فى نوفمبر عام ١٩٢١ ، وبلغت مؤلفاته وبحوثه بضع مئات ، معظمها مما تناول الاسلام فى شتى مجالاته الفكرية والثقافية، على أن اخطر ما فيها ، واعنفها تهجما على الاسلام وتعصبا لبنى جنسه هما كتابا . : مذاهب التفسير الاسلامى الذى نقل الى العربية وقام بترجمته المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار الاستاذ السابق بكلية آداب القاهرة ،ويبرر المرحوم الدكتور النجار اخراج هذا الكتاب الى حيز الوجود العربى ، بأن نزعات المستشرقين يجب ألا تحملنا على تجاهلها :

« **كما لا يحط من قيمته – اى كتاب مذاهب التفسير الاسلامى – اشتماله على قليل من النزغات الدينية التى نبهنا الى اهمها ، وهى نزغات لايكاد يخلو منها كتاب من كتب المستشرقين ولا سيما فيما يتصل من الدين بسبب او نسب ، يمليها عليهم ألف ملازم ، أو هوى متبع ، او قصد جائر ، ولو اعتمدنا ذلك سببا فى اطراح هذه الكتب واعمالها لفاتنا خير كثير . » – المقدمة .**

ومن نزغات جولد تسيهر فى كتابه هذا ادعاؤه أن المرحلة الأولى لتفسير القرآن انقضت فى اقامة النص ، ويدفع به الشطط الى القول « بأنه لايوجد

كتاب تشريعى اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقيديا على انه نص منزل أو موحى به يقدم نصه فى اقدم عصور تداول مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد فى القرآن »

ويهتم هذا المستشرق بتفسير ابن عباس ،باعتباره اول تفسير ، والمعروف لدى المحققين أن التفسير المنسوب الى ابن عباس داخله كثير من الريب ،ولكن المستشرق اليهودى يحاول اثبات وجود قومه فيقول :

« كثيرا ما نجد بين مصادر العلم المفضلة لدى ابن عباس اليهوديين الذين اعتنقا الاسلام : كعب الأحبار وعبد الله بن سلام » ويقول :

« ولم يعد ابن عباس اولئك الكتابيين الذين دخلا فى الاسلام حججا فقط فى الاسرائيليات واخبار الكتب السابقة ٠٠ بل كان يسأل أيضا كعب الاحبار مثلا عن التفسير الصحيح للتعبيرين القرآنيين : ام الكتاب والمرجان ٠٠ كان يفترض عند هؤلاء الأحبار فهم أدق للمدارك الدينية العامة الواردة فى القرآن وفى اقوال الرسوم ، وكان يرجع الى اخبارهم فى مثال هذه المسائل على الرغم من ضروب التحذير الصادرة من جوانب كثيرة فيهم »

هكذا يحاول المستشرق اليهودى أن يسجل ان اليهودية لعبت دورها فى تأسيس الفكر الاسلامى ، مع أن كعب الأحبار من المطعون فى دينه وخلقه لدى عامة المفكرين الاسلاميين ،ولم يزل العلماء يرفضون كل تفسير للقرآن اهتم بالاسرائيليات ٠

***

اما كتاب جولد تسيهر الآخر فهو : العقيدة والشريعة » الذى نقله الى العربية المرحوم الدكتور محمد يوسف موسى استاذ الشريعة السابق فى كلية الحقوق ،والدكتور على حسن عبد القادر عميد كلية الشريعة بالأزهر ، والاستاذ عبد العزيز عبد الحق ، والعجيب ما ذكر فى مقدمة الكتاب وهو :

« وقد انساق المؤلف الى اخطاء غير يسيرة بعوامل قديكون منها انه لم يستطع ان ينفذ تماما الى روح الاسلام ومبادئه واصوله ، وقد يكون منها كذلك ما هو طبعى فى كل ذى دين وثقافة خاصة ، من العصبية لدينه وثقافته » .

***

اما العامل الأول فلا وجود له بشهادة الكتاب نفسه ، واما العامل الآخر ، فهو الأول والاخير ، وليس هناك غيره ٠ هذا المستشرق اليهودى يهتك برقع الحياء ، فيزعم أن « تبشير النبى العربى ليس الا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية ، عرفها اذ استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التى تأثر بها تأثرا عميقا .. »

ولا يسائل نفسه مثلا : لم اذن هذا الاختلاف الواضح فى الجوهر بين الاسلام من جانب والمسيحية واليهودية من الجانب الآخر ، مادام محمد قد استقى ديانته منهما ؟!

ويواصل المستشرق اليهودى تجنياته على الاسلام ، فيثير الشك فى القرآن ، ويطعن اصل الحديث النبوى ، ويرى أن الفقه الاسلامى ليست به الصلاحية الفقهية كى يشرع للأمم والأجناس ، كما يرى أن الفقهاء فى سبيل تطوير الفقه الاسلامى زوروا عشرات الالوف من الأحاديث المنسوبة الى الرسول ، والى ذلك من الاتهامات التى تربى عن الهراء ٠٠ وتكشف عن اصالة اليهود فى الحقد على الاسلام .

***

بقى ان نعرف أن هذا المستشرق اليهودى لم يفته قبيل وفاته أن يهدى مكتبته للجامعة العبرية بفلسطين ، هذه المكتبة التى ضمت حوالى ستة آلاف مجلة تتناول العلوم الشرقية والفقه والفلسفة والفنون الاسلامية وعدا هذه المجموعة زهاء الف نسخة من المقالات المنشورة فى المجلات العلمية .

« **محمد عبد الله السمان** »

الى مؤتمر القمة الثاني

• للشاعر الكويتي عبدالله سنان المحمد •

قلوب العرب والمهج الأبيه … موجهة الى الاسكندريه
الى الأمل الوحيد الى الوفود المنو … ط بها المهمات القويه
هناك هناك أصغاء لما قد … يدور وما تقر الأريحيه
هناك لكل جارحة خلود … لتجلى كل مطمسة خفيه
هناك هناك نعلنها جهارا … بان لنا اليد المثل العليه
هناك ومن هناك على الأعادى … ستشعلها الأيادى الضيغميه
ستطمس بهجة الدنيا عليهم … ظلاما كالليالى الحندسيه
سئمنا يا رجال العرب مالا … يفيد وسفسطات العنجهيه
لمؤتمر يضم رجال صدق … وفوا بعهودهم فى صدق نيه
حرى أن نراه يدر حزما … وتصميما وطاقات عتيه
فافريقيه لاقى بلطف … وترحاب وعطف اسيويه
وشدت كفه كفى اخيه … فقال أخى فجاوبه أخيه
نعم هذا الذى نرجوه منهم … تحققه وعودهم الوفيه
نعم هذا الذى نرجوه منهم … فينفضوا على حسم القضيه
ولم لا والصواريخ اللواتى … اريناها بنى صهيون حيه
ولم لا والرجال على أتم … اعتداد بالقضبى والسمهريه
لمليون تشرده الليالى … احق بان ينال الاولويه
فآمال تجيش بكل صدر … صداها رددته المدفعيه
واحلام تدور بكل رأس … تحققها الليوث اليعربيه
ايشرب نهرنا الشذاذ عذبا … ويحرم أهله الأحرار ريه
ونحن العرب قبل الناس كنا … يدا فتاكة ويدا سخيه
فتفتك بالطغاة وللصديق المحب … ة والمصافات النقيه
ففى يافا وفى حيفا وفى تل أب … يب يوم نعلنها جليه
سنفتح مدفعيتنا عليهم … فلا نبقى فيها بقيه
سيأتى يومها عما قريب … ويحلو يومها كأس المنيه

وقفة الرجال

للشاعر محمود العتريس

مرحبا .. موكب الشموس .. واهلا   هكذا .. عزت الأواصر قبلا
سلم الباس .. بعد طول شتات   جمعت شمله .. عزائم مثلى
تطلب الحق والحياة .. لقوم   هم بحق الحياة .. احرى .. واولى
انها وقفة الرجال .. ولو لم   تتحد همة الرجال .. لولى
قادة العرب .. ارضنا خير ارض   اخرجت للانام .. علما .. وفضلا
مهبط الوحى والرسالات ... والتا   ريخ منها على الوجود .. اهلا
مزقت شمسها .. ستور الدياجى   فتولت كتائب الليل .. خجلى
وتبدى صباحها يبعث الحق ضيا   ـاء .. وينشر العدل ظلا
يوم « حطين » لم يزل يتغنى   باسمة النصر .. اين طاف وحلا
وانتقام الحياة فى « عين جالو   ت » كتاب فى مسمع الدهر يتلى
ذلك المجد .. كلنا صانعوه   منذ كان الزمان فى المهد .. طفلا
ويل « صهيون » اننا ما غفونا   او رضينا للعيش .. ان يستذلا
عميت أعين .. تنام على الضيـ   ـم .. وشلت ايد .. ترى القيد سهلا
دون ذلك الهوان .. أرض تلظى   وسماء .. فى الروع .. تقطر هولا
انه الثار .. ثار كل شهيد   ويتيم ... ومستباح ... وثكلى
فى « فلسطين » جرح كل أبى   من بنى العرب .. للحمى المستحلا
يا رءوس الشعوب .. فى مشرق الحـ   ـق .. بارض تفيض مجدا .. ونبلا
مرحبا بالاباء .. ينبض عزما   ويقينا ... وحكمة ... تتجلى
هكذا كنتمو اذا ما ألم الخطـ   ـب يوما بحقها ... أو اخلا
انها وقفة الرجال ... ولو لم   تتحد عزمة الرجال ... لولى

محمود العتريس

مشكلة الطلاق وتكوين أسرة ناجحة

بقلم: مصطفى عوض هلال

الاسرة خلية المجتمع الذى يتكون من مجموع هذه الخلايا ٠ والفرد اذيخرج الى المجتمع انما يدخل اليه عن طريق الاسرة ٠ فالاسرة هى الطريق الى المجتمع ٠ او هى المجتمع الصغير الذى يسلم الفرد الى المجتمع الكبير ٠

والاسرة بالنسبة للفرد فى فجر حياته تكاد تكون هى المجتمع بكامله وما يلقـــاه على أيدى أسرته من معاملة وما يتلقاه من دروس وما يشعر به من حاجة أو اكتفاء ، كل ذلك تصنعه الاسرة باسم المجتمع ولحسابه ٠

ومن ثم كانت الاسرة بمثابة الوعاء الذى تنضج فيه الروح الاجتماعية أو تحترق ٠

لذلك لاغرابة اذ اعتبر الاسرة كثير من الاجتماعيين ولا سيما أوجست كونت الاساس الاول لكل اصلاح اجتماعى ، اذ هى ، لا الفرد ، تمثل وحدة المجتمع وخليته الاولى ٠٠

على أن من بين من مشاكل الاسرة مشكلة تهدر كيانها وهى مشكلة الطلاق وسنبحث هنا هـــذه المشكلة مكتفين بالاشارة الى مشاكل الاسرة الاخرى كمشكلة اشراك الزوجة فى الحياة السياسية ومشكلة تربية الاولاد وقضاء أوقات الفراغ بالنسبة لاعضاء الاسرة ٠٠٠ الخ ٠ على أن هذه المشاكل تمت جميعا لمشكلة الطلاق بصلة قريبة أو بعيدة ٠

فمشـــكة الطـلاق مشـــكلة مزمنة لا فى مصر وحدها بل فى البلاد الاخرى أيضا كامريكا وفرنسا وانجلترا ولكنها فى مصر بدأت تتخذ شكلا خطيرا لا يمكن السكوت عليه اذ تبين الاحصائيات أن عدد عقود الزواج فى سـنة ١٩٤٤ بلغ ٢٦٩ر٦٣٧ عقدا على حين بلغت اشهادات الطلاق ٢٥٥ر٧٤ أى بنسبة أكثر من ٢ر٣١٪ من عقود الزواج فى تلك السنة هذا على حين أن الولايات المتحدة التى تعتبر نسبة الطلاق فيها أعلى منها فى غـيرها من الدول الاخرى والتى تعتبر نسبة الطلاق فيها فى سنتى١٩٢٦،١٩٣٥ من النسب العالية نجد أن نسبة عدد حالات الطلاق الى عـدد حالات الزواج كانت ٣ر١٦ و ٦ر١٦ على التوالى ٠

وجدير بالذكر أن هذه النسب العـالية تتكرر باســتمرار مما يدل على أن داء الطلاق قـد تزمن وتاصل فى البيئة المصرية اذ كانت نســبة حالات الطلاق الىعدد حالات الزواج فى سنة ١٩٤٥،١٩٤٦، ١٩٤٨ تزيد على ٢٩٪ ، ٢٧٪ ، ٢٨٪ على التوالى ٠

بل ما لنا نذهب بعيـــدا ونقارن نسب الطـلاق عندنا بالدول الاخرى ، لنقارن هذه النسب بنسب الطلاق عند الطوائف المسيحية واليهودية فى مصر ، فنجد ان عدد عقود الزواج عند المسيحيين المصريين بلغ ٨٫٤٧٢ فى سـنة ١٩٤٤ وعدد حالات الطـلاق ٢٨١ ، وعند الاسرائيليين ٨٧٨ و ١٠٦ على التوالى وفى سنة ١٩٤٧ بلغت هذه الحالات عند المسيحيين المصريين ٥ر٢٧٣ حالة زواج ، ٢١٧ حالة طلاق وعند الاسرائيليين ٦٤٠ حالة زواج ، ٨٣ حالة طلاق ٠

***

ويتضـح من ذلك أن عدد حالات الطـلاق بين

المسلمين المصريين بالنسبة لعدد حالات الزواج مرتفع جدا اذا قورن بمثيله عند الطوائف الاخرى وهذه الحالة ان دلت على شيء فانما تدل على عدم استقرار الحياة الاسرية عندنا وهذا الداء الوبيل لا يضع حدا للحياة الزوجية فحسب بل انه يخلق مشاكل كثيرة ، فالاطفال قد يعرضون للتشرد والتسول والزوجة التي كانت كريمة بالامس قد تسلم نفسها لحياة غير شريفة أما عن الزوج فيبحث عن ضحية ثانية وثالثة ورابعة . الخ . وتنتهي كل حالة منها بمأساة كالمأساة الاولى حتى ليمكننا القول بان ثمة بين الرجال من يتجرون حقا بالنساء ويتخذون منهن حرفتهم فيقضي الواحد منهم عمره بين زواج وطلاق وتشريد أطفال .

ولكن ما هي الاسباب الرئيسية لهذه المشكلة ؟

أولا ـ اننا نستغل تلك الرخصة التي أعطاها لنا الشرع السمح استغلالا سيئا متناسين أن أبغض الحلال عند الله الطلاق ومتجاهلين روح الاسلام الصحيحة من أن هذه الرخصة يجب استخدامها بحذر شديد وعند الضرورة القصوى ويقول في هذا المعنى الشيخ « أحمد ابراهيم بك » الاصل في الطلاق الحظر ... الا لحاجة تدعو اليه كريبة أو كبر ويستحب اذا كانت الزوجة مؤذية .. ويجب لوفات الامساك بالمعروف كما لو كان الزوج خصيا أو مجنونا أو عنينا ، ويحرم اذا كان بدعيا بان يطلقها ثلاثا بلفظ واحد أو متفرقات في طهر واحد أو يطلقها وهي حائض أو نفساء أو يطلقها في طهر بعد أن مسها فيه والطلاق في كل هذه الاحوال واقع بسبب ايقاع الزوج وان كان حراما .

ثانيا ـ الزواج في سن مبكرة لان الزوجين لا يقدران الحياة الزوجية حق قدرها وتتحكم العواصف والانفعالات في أحوالهما أكثر من العقل .

ثالثا ـ سوء اختيار الزوجة اذ يلجأ معظم الشبان الى أسر خاصة واضعا نصب عينيه اعتبارات خاصة آخرها عادات الزوجة ومزاجها وأخلاقها وعدم البحث فيما اذا كانت هذه العادات والامزجة تتفق مع ميوله أم لا .

رابعا ـ يرجع الطلاق أحيانا الى نظم المعيشة في الريف أو الى نظام الاسرة الكبيرة وهي التي يعيش فيها الاجداد مع أولادهم واحفادهم وما قد تولده هذه المعيشة من احتكاك بأقارب الزوج وقريباته ويجعل من هذا الاحتكاك مثار مشاكل كثيرة .

خامسا ـ الحالة الاقتصادية قد تكون عاملا كبيرا في سبيل هدم الحياة الزوجية فالبؤس والفقر يؤديان الى شيء من حدة المزاج والى الانفعالات ويؤدي هذا في أحيان كثيرة الى العراك بين الزوجين وينتهي بالطلاق .

سادسا ـ العقم وسوء الخلق من الاسباب الكبرى التي قد تؤدي الى الطلاق .

ويجب أن نفهم أن من بين هذه الاسباب أسبابا حقيقية وأخرى تخفي وراءها أسباباأخرى دفينة ، كما أن علل حالات الطلاق وأسبابه تختلف في نفس المجتمع الواحد من بيئة لاخرى فيكثر الطلاق مثلا في المدن عنه في الريف وهو يختلف بحسب الطبقات سواء في ذلك الطبقات الاجتماعية أو المهنية .

ولذلك فان فوق هذا الاسباب أسبابا أخرى دفينة وأهمها انعدام الحب بين الزوجين ، ولما كانت نسبة الرجال الضعفاء جنسيا طفيفة جدا ، ولما كانت أيضا العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة ليست مسالة بيولوجية وفزيولوجية بحتة كما هي الحال بين الحيوانات اذ هي تعتمد على عوامل سيكلوجية وثقافية بجانب العوامل البيولوجية والفزيولوجية كان أساس الحب قائما بين الزوجين على شخصية الزوج والزوجة . فالزوج ذو الشخصية القوية الجذابة يغرس هذا الحب غرسا في نفس زوجته ويعمل على تجديده باستمرار . فهو يظهر في نظرها دائما كانه أحسن رجل وكذلك الزوجة اذا كانت ذات شخصية جذابة ولباقة خاصة أمكنها أن تغرس الحب في نفس زوجها فالمسالة تتوقف على عوامل نفسية وثقافية وحسن ادراك وفهم للموقف أكثر من توقفها على عوامل حيوانية بيولوجية بحتة . وفيما يلي وصف لشخصية الزوجين اللذين يمكن أن تتالف منها أسرة سعيدة :

« الآنسات اللاتي يمكن أن يكون أسرة سعيدة هن هؤلاء اللاتي يتخذن مواقف ملؤها العطف والشفقة

ازاء الاشخاص الآخرين وينتظرن من الآخرين نفس المعاملة ولا يلجأن بسهولة الى اتخاذ مواقف عنيفة بالنسبة للآخرين ، كما لايتسرعن ويظنن بالناس سوءا ولا يفهمن من الحياة انها تناحر وسباق بين الناس تملؤه الحقد والحسد وتسيطر عليهن روح التعاون ولا يضيرهن أن يتخذن في الحياة دور المرءوسات . ويقبلن نصيحة الآخرين عن طيب خاطر وهن دائما يباركن أنواع النشاط التي من شأنها تثقيف الآخرين واسعادهم والترفيه عن العجزة وذوي الحظ السيء . ونجد امورهن منظمة متسقة يأخذن لكل أمر عدته كما نجد عندهن حرصا على تدبير المال وعدم الاسراف . وفي المسائل الدينية والاخلاقية والسياسية نجدهن ميالات الى التحفظ وهن ينظرن الى الحياة نظرة ملؤها الطمأنينة والتفاؤل .

واما النساء اللاتي يعجزن عن انشاء اسرة سعيدة فهن يميزن بأنهن حادات المزاج وفي تغير مستمر وحالتهن النفسية ليست على وتيرة واحدة وعندهن شعور دفين بالنقص يعبرن عنه أحيانا باتخاذ مواقف هجومية ازاء الآخرين ولا حياء عندهن أحيانا بل ويذعن الى روح دكتاتورية في أعمالهن المنزلية او العامة ، ومن طبعهن الميل الى التعارف بكثير من الناس وباكبر عدد ممكن من الصديقات ولكنهن لا يفعلن ذلك لكي يكن محبوبات بل لكي يظهرن ولكي تزداد اهميتهن . وهنا يبالغن في الاعتداد بانفسهم كما انهن أنانيات ولا يملن الى المساهمة في أعمال البر والاحسان اللهم الا اذا كانت هذه المساهمة ستتيح لهن الفرصة للظهور ، ويملن الى اتخاذ مواقف أكثر ودا ومسالمة ازاء الرجال منه ازاء النساء ، وهن عادة لا يظهرن الكره لأزواجهن بشكل واضح على خلاف الازواج التعساء الذين يظهرون عادة هذا الكره جليا وهن يكرهن النظام والتقيد ببرامج خاصة وفي السياسة والدين والاخلاق الاجتماعية يملن الى التجديد والى الخروج على التقاليد .

أما عن الرجال الذين يتوسم فيهم تكوين اسرة سعيدة فهم ممتازون بما يأتي :

انهم يظهرون في كل مناسبة هدوءا وثباتا وعلاقتهم بالآخرين تقوم على التعاون وتلك أظهر ميزاتهم وهذا يبدو جليا في علاقاتهم برؤسائهم في العمل وفي علاقاتهم الطيبة بمرءوسيهم وخدمهم وينزعون الى تحمل المسئوليات مهما كانت جسامتها وهم يحبون الناس وفي المسائل المالية نجدهم أيضا معتدلين كما انهم في أغلب الاحيان يتخذون موقف التحفظ في كل مشكلة من المشاكل ويتخذون موقفا طيبا في العادة ازاء الدين والعادات والتقاليد ولا يحاولون الخروج عليها .

الحلول المقدمة لحل هذه المشكلة :

يجب أولا الا نترك مسالة الطلاق لهوى الافراد وعبثهم ذلك أن جميع العقود المدنية تقريبا ان كانت تبرم باتفاق الطرفين المتعاقدين وتنتهي وفق ارادتهما فان هذا يجب ألا يطبق على عقد الزواج لانه عقد ذو ميزات خاصة اذ يربط فردين برباط روحي مقدس ، فاذا كان ذلك وكانت روح الاسلام أميل الى نبذ الطلاق الا في أحوال خاصة وجب علينا - فيما يرى بعضهم - ان نفسر القرآن الكريم والتراث الاسلامي حسب روحه فنشرك القضاة على الاقل في الفصل في اسباب الطلاق ، وأصحاب هذا الرأى يؤمنون بأن القرآن الكريم والتراث الاسلامي هو لنا بمثابة دستور ، ولكن علينا أن نتخذ من الاحتياطات ما يؤدي بنا حقا الى مراعاة أحكام هذا الدستور . فاذا كان المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين من بعده لم يستغلوا رخصة الطلاق استغلالا سيئا ولم يسرفوا في استخدامها فذلك لانهم كانوا يحكمون العقل والدين ولا يتركون الهوى يسيطر على نفوسهم وبذلك كانوا يتقون الله والدين في علاقاتهم الزوجية أما اذا وجد الدين في مجتمع لم يعد يستخدم هذه الرخصة بعقل وتبصر ، محكما الهوى ، فيجب أن تسن من التشريعات ما يكبح جماح المجتمع ويؤدي به الى استخدام هذه الرخصة فيما وجدت له .

فلا بد اذن من اشراف القضاء على الطلاق ولا يفوتني ان اذكر هنا أن التجارب قد دلت - في مجتمعاتنا الحديثة التي تأثرت فيها الروح الدينية الى حد ما - على أن ترك الحرية المطلقة للافراد ولاسيما في الطلاق أمر على جانب كبير من الضرر ، لذلك لاغرابة ان لجأت معظم الدول كفرنسا وانجلترا وروسيا الى تقييد الطلاق بطرق شتى بعد أن كانت قد اباحته

اباحة مطلقة او شبه مطلقة . فالثورة الروسية قد اباحت فى بدئها الاتصال الحر بين الرجل والمرأة ، واعطت لأولاد السفاح نفس الحقوق التى اعطتها للأولاد الشرعيين كما أباحت الطلاق اباحة مطلقة ، وكان الاولاد يربون فى مستوصفات خاصة أنشئت لذلك ولكن وجد أن الافراد قد استغلوا هذه القوانين استغلالا سيئا فلم يلبث التشريع الروسى أن تراجع لحماية الاسرة وتضييق أبواب الطلاق فصدر قانون الاسرة سنة ١٩١٨ وصدرت قوانين أخرى تكميلية سنة ١٩٢٧ وسنة ١٩٣٦

ولما كانت الاخلاق غير الكريمة تعتبر من الاسباب المؤدية الى الطلاق وجب تشديد الرقابة وفرض عقوبات كبيرة متساوية على الرجل والمرأة فى حالة الشذوذ الخلقى . ونعتقد أن الاحوال الاقتصادية اذا تحسنت فانها ستؤدى الى الاقلال من نسبة الطلاق خلافا لما حصل فى البلاد الاجنبية . ذلك لان الشرقيين عامة والمصريين خاصة ، يميلون الى تكوين الاسرة والى المعيشة فى أسرة ويمقتون المعيشة الفردية وذلك بعكس نفسية الغربيين والامريكيين الذين يريدون أن يعيشوا « أحرارا » بلا زواج اذا صح أن تسمى هذه حرية .

كما يجب فرض رسوم كبيرة على المطلقين من الرجال وتتزايد هذه الرسوم بحسب مرات الطلاق . بل يجب أن يكون الطلاق من الاسباب التى تحرم الرجل والمرأة (بحسب ما اذا كان الحق على أى منهما) من بعض الوظائف والمراكز الخاصة .

ولا غرابة فى ذلك أبدا ، فالجرائم العادية تحرم مرتكبيها من كثير من الحقوق الممنوحة للافراد ، وأى جريمة تعادل جريمة الطلاق الذى يؤدى الى القضاء على الاسرة وتشريد الاطفال ، ان الطلاق قد يؤدى الى سلسلة من الجرائم ، التى لا تقل أهمية عن الجرائم التى يعاقب عليها القانون .

ويجب أيضا ادخال نظام قاضى الصلح أو السلام الذى يوجد فى كثير من الدول الاجنبية ولا سيما فى انجلترا وفرنسا . ومن بين اختصاصات قاضى الصلح محاولة الوصول الى حل سلمى فى حالة النزاع بين الزوج والزوجة وتفهيم كل منهما العواقب العظيمة التى ستنتج عن نزاعهما وهذا النظام لايوجد فيما يختص بقضايا الاحوال الشخصية فحسب بل فى بعض القضايا المدنية عامة ولقد أدى هذا النظام الى فض كثير من القضايا فضا سلميا وقضى على كثير من اسباب الشكوى .

ومما هو جدير بالاعتبار أنه تمكن الاستعانة أيضا بالمرشدات الاجتماعيات والاخصائيين الاجتماعيين فى هذه المهمة اذا ما أتيحت الفرصة لوجود مكاتب أو عيادات أسرية فى الريف والمدن ـ كما حدث فى أمريكا مثلا ـ وظيفتها تسوية الخلافات التى تطرأ على العلاقات الزوجية ويقضى نظام هذه المكاتب أن تقدم الزوجة تقريرا عن حالة زوجها ومضايقاته ومشكلاته العائلية .

***

وبعد دراسة التقرير بواسطة لجنة اخصائية يستدعى الزوج لمناقشته فيما يتضمنه التقرير من وقائع ويبذل المكتب قصارى الجهد لتسوية الموضوع قبل عرضه على القاضى المختص للبت فيه .

فاذا ذهبت الجهود عبثا عرض الموضوع على القاضى الذى يعاود الجهود من جانبه للوصول الى حل يرضى الطرفين دون الالتجاء الى قوة القوانين .

ويجدر بنا فى هذا المجال أن نشير الى ما جاء بالميثاق رعاية للاسرة والمحافظة عليها حيث انها اللبنة الاولى فى بناء المجتمع اذ يقول ما نصه : ان الاسرة هى الخلية الاولى للمجتمع ولا بد أن تتوافر لها كل أسباب الحماية التى تمكنها من أن تكون حافظة للتقليد الوطنى مجددة لنسيجه ، متحركة بالمجتمع كله ومعه الى غايات النضال الوطنى .

مصطفى عوض هلال

الخلاص بالعلم
في تحقيق ما للهند من مقولة للبيروني

بقلم : أحمد سعيد الدمرداش

تمهيد :

عاشت فوق مسرح الزمان الوجودى مدنيات وحضارات شتى ، كل لها سمات وملامح تميزها عن غيرها ، فالحضارة الايونية لها رموز وأساطير . والهند لها مذاهب وعبادات متجاورات تسقى بماء واحد ، ولكننا نفرق بعضها عن بعض فى الثمر، فالبراهمة يتفاضلون وهذا « براهمهر » أحد حكمائهم يقول : « ان اليونانيين ، وهم انجاس ، لما تخرجوا فى العلوم ، وأنافوا فيها على غيرهم وجب تعظيمهم ، فما عسى تقوله فى البرهمن اذا حاز الى طهارته شرف العلم ؟ »

وحكماء الهند كانوا يعترفون لليونانيين بأن ما اعطوه من العلم ارجح من نصيبهم .

وفى الزمان الغابر ، لم تكن الحضارات بمعزل تام عن غيرها ، ذلك لأن قوافل التجارة كانت لحمالها عناصر ثقافية وعلمية أيضا ، تنتقل الى الاسواق ، فيتبادل القوم سلعا تجارية وسلعا ثقافية ، ثم كانت الغزوات الحربية بين الاسكندر وبين الشرق ، فامتزجت الحضارة الأيونية بالحضارة البابلية والحضارة الهندية والحضارة التركمانية فى وسط آسيا ، حيث قضى الاسكندر شتاء فى سمرقند اثناء احدى غزواته .

يقول البيرونى فى مقولة الهند « ان اليونانيين أيام الجاهلية قبل ظهور النصرانية ، كانوا على مثل ما عليه الهند فى العقيدة : خاصهم فى النظر قريب من خاصهم ، وعامهم فى عبادة الاصنام كعامهم ، ولكن اليونانيين فازوا بالفلاسفة الذين كانوا فى ناحيتهم، حتى نقحوا لهم الاصول الخاصة ، دون العامة .

ولم يك للهند امثالهم ممن يهذب العلوم ، فلا تكاد تجد لذلك لهم خاص كلام الا فى غاية الاضطراب وسوء النظام ، ومشوب فى آخره خرافات العوام مع تكثير العدد ، .. وانا فى أكثر ما ساورده من جهتهم حاك غير منتقد ، الا عن ضرورة ظاهرة ، وذاكر من الاسماء والمواصفات فى لغتهم ما لابد من ذكره مرة واحدة يوجبها التعريف »

درس البيرونى اثناء شبابه فى خوارزم ، وكانت معقلا للعلوم الهيلينستية ، ثم صحب السلطان شهاب الدولة مسعود بن محمود الغزنوى اثناء غزواته للهند ، وتعلم اللغة السنسكريتية وغاص فى أغوارها، وقابل نساك الهند وحكماءها ، واستمرت دراساته ما يقرب من اربعين سنة ، فنقل الى اللغة السنسكريتية العلوم الاسلامية ، ونقل الى العربية كثيرا من كتب الهند ، وهو الوحيد من بين علماء العرب الذى تعلم لغة اجنبية ليدرس معالم اهلها ؛ فابن سينا،وابن رشد لم تكن لهما دراية بلغة الاغريق ودراساتهما المستفيضة لعلومهم كانت ينابيعها من التراجم العربية السابقة .

وهيرودوت المؤرخ اليونانى كتب عن مصر وعن بابل فى رحلاته كتابة رجل قصاص ، يسمع من هنا وهناك ، دون سابق علم بلغة القوم ، أما البيرونى فقد اتقن اللغة السنسكريتية ، ثم نقل عن حكماء الهند مباشرة سواء منهم أو من كتبهم ، فكان امينا ومنصفا حقا .

يقول الشهرزورى عن البيرونى : كان مكبا على تحصيل العلوم ، منصبا الى تصنيف الكتب ، يفتح أبوابها ، ويحبط شواكلها واقرابها ، ولا يكاد يفارق يده القلم ، وعينه النظر ، وقلبه الفكر ، الا فى يومى النيروز ، والمهرجان ، من السنة لاعداد ما تمس الحاجة اليه فى المعاش ، من بلغة الطعام وعلقة الرياش »

وخرج البيرونى من دراسته للهند بمخطوط كبير عنوانه « فى تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى

العقل أو مرذولة ، الذى نحن بصدد امتصاص بعض أبواب منه .

اصل الموجودات فى نظر الهند

يقول كتاب « كيتا » المعروف : اما عند التحقيق فجميع الاشياء الهية لأن « بشن » جعل نفسه ارضا ليستقر الحيوان عليها ، وجعله ماء ليغذيهم . وجعله نارا وريحا لينميهم وينشئهم ، وجعله قلبا لكل واحد منهم »

وحكماء الهند جميعا يذهبون فى الموجود الى انه شىء واحد ، ويسمون النفس « بورش » ولايرون منها غير الحياة ، ويصفونها بتعاقب العلم والجهل عليها ، وأنها جاهلة بالفعل وعاقلة بالقوة ، تقبل العلم بالاكتساب ، وأن جهلها سبب وقوع العقل وعلمها سبب ارتفاعه .

وتتلوها المادة المطلقة ، اعنى الهيولى المجردة ، ويسمونها « ابيكيت » اى شىء بلا صورة ، وهى موات ذات قوى ثلاث بالقوة دون الفعل اسماؤها « ستو » و « رجو » و « تمو » وتكتب ست ورج وتم .

فالاولى منها راحة وطيبة منها الكون والنماء

والثانية تعب ومشقة منها الثبات والبقاء

والثالثة فتور وعمه منها الفساد والفناء

ولهذا تنسب الاولى الى الملائكة ، والثانية الى الناس ، والثالثة الى البهائم .

واما المادة خارجة الى الفعل بالصور والقوى الثلاث الاول ، فانهم يسمونها « بيكيت » اى المتصورة ، وتتلوها الطبيعة ويسمونها « آهنكار » واشتقاقه من الغلبة والازدياد والصلف من اجل ان المادة عند لبس الصورة تأخذ فى انماء الكائنات عنها والنمو لا يكون الا احالة الغير وتشبيهه بالنامى

فكان الطبيعة تغالب فى تلك الاحالة ، وتستطيل على المستحيل .

والموجودات الكلية فى العالم هى العناصر الخمسة وهى السماء والريح والنار والماء والارض وتسمى جميعا « مهابوت » ، والافعال الارادية الموجودة فى بدن الحيوان لا تصدر عنه الا بعد وجود الحياة فيه ومجاورة الحى اياه ، وقد زعموا أن النفس بالفعل جاهلة بذاتها ، وبما تحتها من المادة ، تواقة الى الاحاطة بما لا تعرف ، ظانه أن لا قوام لها الا بالمادة، فتشتاق الى الخير الذى هو البقاء وتروم الاطلاع على ما هو منها مستور ، فتنبعث للاتحاد بها

والارواح عندهم غير مختلفة فى الجوهر ، مطبوعة على التساوى ، وانما تختلف اخلاقها وآثارها من جهة اختلاف الاجساد التى تقترن بها بسبب القوى الثلاث التى تتغالب فيها وتفاسدها بالحسد والغيظ ، فهذا هو السبب الأعلى فى الانبعاث للفعل، واما السبب الاسفل من جهة المادة فهو طلبها الكمال وايثارها الافضل الذى هو الخروج من القوة الى الفعل ، وبما فى الطبيعة من المباهاة ، ومحبة الغلبة تعرض ما فيها من اصناف الممكن .

وفى كتاب « سانك » ينسب الفعل الى المادة من اجل ان ما يعرض من الصور مختلفة فى اختلافها ، بسبب القوى الثلاث وغلبتها فرادى ومزدوجة ، أعنى الملائكية والانسية والبهيمية وقالوا ان مثال النفس مثال ماء المطر النازل من السماء على حالة وكيفية واحدة ، فاذا اجتمع فى أوان له موضوعه ومختلفة الجواهر من ذهب وفضة وزجاج وخزف وطين وسبخة ، فان بها يختلف فى الرؤية والمذاق والمشم .

كذلك النفس لا تؤثر فى المادة سوى الحياة بالمجاورة ، فاذا اخذت المادة فى الفعل اختلف مايظهر منها بسبب القوة الغالبة من القوى الثلاث ، ومعاونة الآخرين المسترين اياها على صنوف الانحاء ، تعاون الدهن الرطب والذبالة اليابسة ، والنار المتدخنة على الاضاءة

« الخلاص من الدنيا وصفة الطريق المؤدى اليه »

يقول البيرونى نقلا عن شريعة الهند :

« اذا كانت النفس مرتبطة فى العالم ، ولرباطها سبب ، فان خلاصها من الوثاق يكون بضد ذلك السبب ، وسبب الوثاق فى مذاهب الهند هو الجهل فخلاصها اذن بالعلم اذا احاطت بالاشياء احاطة تحديد كلى مميز ، مغن عن الاستقراء ، ناف للشكوك لانها اذا فصلت الموجودات بالحدود عقلت ذاتها ومالها من شرف الديمومة ، وللمادة من خسة التغير والفناء فى الصور فاستغنت عنها ، وتحققت أن ما كانت تظنه خيرا ولذة هو شر وشدة ، فحصلت

على حقيقة المعرفة واعرضت عن تلبس المادة ، فانقطع الفعل ، وتخلصنا بالمباينة .

قال صاحب كتاب « باتنجل » .

افراد الفكرة في وحدانية الله يشغل المرء بالشعور بشيء غير ما اشتغل به ، ومن أراد الله ، اراد الخير لكافة الخلق من غير استثناء واحد بسبب ، ومن اشتغل بنفسه عما سواها لم يضع لها نفسا مجذوبا ولا مرسلا ، ومن بلغ هذه الغاية ، غلبت قوته النفسية على قوته البدنية ، فمنح الاقتدار على ثمانية أشياء ، بحصولها يقع الاستغناء فمحال أن يستغني احد عما يعجزه ، وهي :

١ ــ التمكن من تلطيف البدن حتى يخفى عن الاعين .

٢ ــ التمكن من تخفيفه حتى يستوى عنده وطء الشوك والوحل والتراب

٣ ــ التمكن من تعظيمه حتى يريه في صورة هائلة عجيبة

٤ ــ التمكن من الارادات

٥ ــ التمكن من علم مايروم

٦ ــ التمكن من الترؤس على اية فرقة طلب

٧ ــ خضوع المرءوسين وطاعتهم

٨ ــ انطواء المسافات بينه وبين المقاصد الشاسعة

فاذا قدر على ذلك استغنى عنه ، وتدرج الى المطلوب في مراتب ، أولها معرفة الاشياء اسما وصفة وتفاصيل غير معطية للحدود ، والثانية تجاوز ذلك الى الحدود الجاعلة جزئيات الاشياء كلية الا انه لا تخلو فيها من التفصيل ، والثالثة زوال ذلك التفصيل والاحاطة بها متحدة ، ولكن تحت زمان ، والرابعة تجردها عنده عن الزمان واستغناؤه فيها عن الاسماء والالقاب التي هي آلات الضرورة . وفيهـا يتحد العقل والعاقل بالمعقول حتى تكون شيئا واحدا ، فهذا ما قال « باتنجل » في العام المخلص للنفس ويسمون خلاصها بالهندية «موكش»

وعندهم ان العلم يحصل للعالم على احد ثلاثة اوجه :

احدها بالهام وبلا زمان بل مع الولادة والمهد مثل « كبل » الحكيم فانه ولد مع العلم والحكمة والثاني بالهام بعد زمان كاولاد « براهم » فانهم الهمـوا لما بلغوا اشدهم

والثالث بتعلم وبعد زمان كسائر الناس يتعلمون اذا ادركوا

كيفية الوصول الى الخلاص :

الوصول الى الخلاص بالعلم لا يكون الا بالانتزاع عن الشر ، ففروعه على كثرتها راجعة الى الطمـع والغضب والجهل ، وبقطع الاصول تذبل الفروع ومدار ذلك على اماتة قوتي الشهوة والغضـب اللتين هما اعدى عدو ، واوثقه للانسان ، تغرانه باللذة في المطاعم والراحة في الانتقام ، وهما بالتأدية الى الآلام والآثام أولى ، وعلى ايثـار القوة النطقية العقلية التي بها يشابه الملائكة المقربين ، وعلى الاعراض عن اعمال الدنيا ، وليس يقدر على تركها الا برفض أسبابها من الحرص والغلبة ، وبذلك تنخزل القوة الثانية (وهي الانسية) من الثلاث الاول .

الا ان ترك العمل يكون على وجهين ، احدهما بالكسل والتأخير والجهل على موجب القوة الثالثة (وهي البهيمية) وليس هذا بالمطلوب فانه مذموم المغبة ، والثاني بالاختيار والتبصر وايثار الافضل للخيرورة وهو المحمود العاقبة ، وترك الاعمال لايتم الا بالعزلة والانفراد عن المشاغلات ، ليتمكن من قبض الحواس عن المحسوسات الخارجة ، حتى لا يعـرف أن وراءه شيء ، وتسـكين الحركات والتنفس ، فقد علم أن الحريص ساع ، والساعي تعب ، والتعب ضابح ، فالضبح اذن نتيجة الحرص ؛ وحينئذ يستقر القلب على شيء واحد ، وهو طلب الخلاص والخلوص الى الوحدة المحضة

وفي كتاب « **باتنجل** » يقسم طريق الخلاص الى اقسام ثلاثة :

١ ــ أحدها العمل بالتعويد ومداراة على قبض

الحواس من خارج الى داخل حتى لا تشتغل الا بك، وقد قيل فى « كيتا » من أمات شهوته لم يتجاوز الحاجات الاضطرارية ، ومن لزم الكفاف لم يختر ولم يسترذل ، وما اللذة الا لمن أمات العدوين اللذين لا يطاقان ، اعنى الشهوة والغضب فى حياته دون مماته ، واستراح من داخله ، دون خارجه فاستغنى عن حواسه

٢ ــ والقسم الثانى العقل ، بمعرفة سوءة الموجودات المتغيرة والصور الفانية ، حتى ينفر القلب عنها ، وينقطع الطمع دونها ، ويحصل الاعتلاء على القوى الثلاث الاول التى هى سبب الاعمال واختلاقها ، وذلك ان المحيط بأحوال الدنيا ، يعلم ان خيرها شر ، وراحتها مستحيلة فى المكافاة الى شدة فيعرض عما يؤكد الارتباط ويولد المقام

وفى كتاب « كيتا » ان طهارة العلم تفوق طهارة سائر الاشياء،لان بالعلم استئصال الجهالة واستبدال اليقين بالشك الذى هو مادة العذاب ، فلا راحة لشاك

٣ ــ والقسم الثالث وهو العبادة ليوفقه الله لنيل الخلاص ، ويؤهل لقالب ينال فيه التدرج الى السعادة ، وقد قسم العبادة صاحب «كيتا» على البدن والصوت والقلب ، فعلى البدن الصوم والصلاة وموجبات الشريعة وخدمة الملائكة وعلماء البراهمة وتنظيف البدن والتبرؤ من القتل اصلا . ومن ملاحظة ما للغير من النساء وغيرهن وعلى الصوت القراءة والتسبيح ولزوم الصدق وملاينة الناس وارشادهم وأمرهم بالمعروف ، وعلى القلب تقويم النية ، وترك التعظيم ، ولزوم التانى وجمع الحواس مع انشراح الصدر .

ثم اتبعها بقسم رابع خرافى ويسمى «رساين» وهى تدابير بادوية تجرى مجرى الكيمياء فى تحصيل الممتنعات بها .

سال سائل فى خاتمة كتاب «باتنجل» عن كيفية الخلاص ، فقال المجيب : ان شئت فقل هو تعطل القوى الثلاث ، وعودها الى المعدن الذى صدرت عنه، وان شئت فقل هو رجوع النفس عالمة الى طباعها .

وقد ذهبت الصوفية فى الاشتغال بالحق فقالوا : ما دمت تشير فلست بموحد حتى يستولى الحق على ارشارتك بافنائها عنك ، فلا يبقى مشير ولا اشارة ويوجد فى كلامهم مايدل على القول بالاتحاد كجواب احدهم عن الحق ، وكيف لا اتحقق من هو « أنا » بالانية ، ولا « أنا » بالاينية ، ان عدت فبالعودة فرقت ، وان اهملت فبالاهمال خففت وبالاتحاد الفت .

وكقول ابى بكر الشبلى : اخلع الكل تصل الينا بالكلية ، فتكون ولا تكون اخبارك عنا ، وفعلك فعلنا .

وكجواب ابى يزيد البسطامى ، وقد سئل بم نلت مانلت : انى انسلخت من نفسى كما تنسلخ الحية من جلدها ، ثم نظرت الى ذاتى فاذا أنا هو .

وبعد !!!

هذه هى شريعة الهند فى الخلاص ، وهى تختلف عن شريعة « يوحنا اللاهوتى » فى الخلاص بالموت التى كانت الهاما لاحد الشعراء المعاصرين كما ذكرت الاهرام فى ملحقها بتاريخ ٦٤/٨/٧ ، يضاف اليها الهام آخر « سيهل على الدنيا يوما ركبه » وهو المهدى المنتظر ، اسطورة زردشتية اعتنقها المجوس فى ايران ، وادخلها الشعوبيون الى الحضارة الاسلامية حتى يفسدوها .

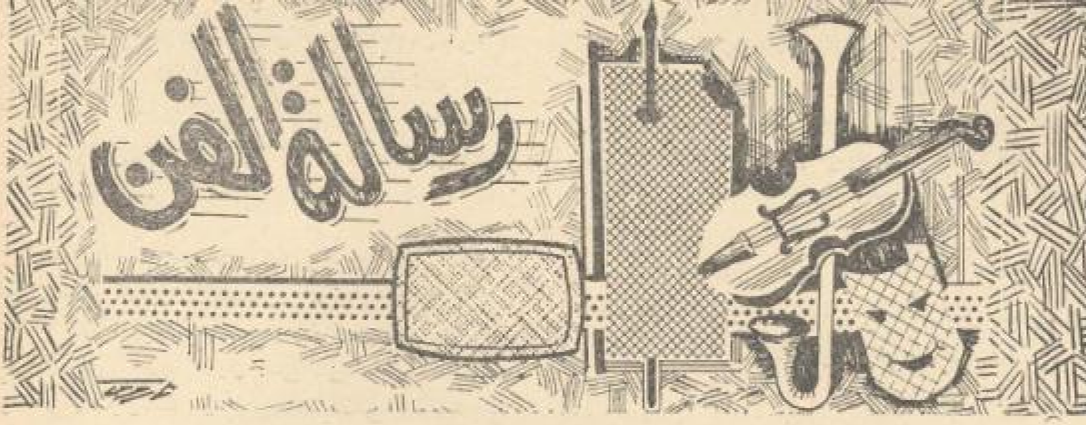
كل هذه الشرائع والاساطير نبذها الاسلام ولفظها خارج الحدود ، فلم الرجوع اليها ؟

ياقوم !! دعونا نستلهم من تراثنا الاسلامى ومن عروبتنا ومن اشتراكيتنا بعدا رابعا يظل خالدا فى طيات الاثير ، ويبعث الدفء فى دماء الاجيال القادمة:

تراثنا كالبحر يقذف للقريب جواهرا ، ويبعث للبعيد سحائبا .

وهو حسبنا وكفى

احمد سعيد الدمرداش



فلسطين على المسرح

بقلم عبد الفتاح البارودى

لولا مناسبة عقد مؤتمر القمة لما ظهرت على مسرحنا رواية «**لا حدود**» أو استعراضات «**قمة النصر**» .. لماذا ؟ لو كان الفنانون عندنا يدركون مدى ارتباط الفن بالأحداث ، وخاصة الأحداث القومية ، لرأينا فى كل المجالات الفنية انتاجا يستلهم هذه الأحداث، ويعبر عنها ، ويعايش الناس الذين يعيشون فيها.. ولكنهم لايدركون ذلك .. بل بالعكس يتوهمون أن الفن « الخالد » يأتيه « الخلود » من الابتعاد عن المناسبات مثلا ، ولهذا ينتجون فنا طائرا الى البرج العاجى أو هابطا الى سراديب الانزواء !!

الواقع أن الفن الحقيقى هو الفن المرتبط بالمناسبات والظروف الحية واحساسات الناس واحتياجاتهم ، ولايمكن أن ينفصل الفن عن واقعه الفنى .. والفن الخالد هو الفن الذى يتحقق فيه ذلك ، وهذا هو سر خلود فن سوفوكليس وشيكسبير وراسين وموليير .. الخ

بسبب ارتباط فنون هؤلاء الأعلام بحياتهم وبيئتهم وجمهورهم يستحيل أن تتصور وجود فن سوفوكليس الا فى القرن الخامس قبل الميلاد بالذات وفى العصر الاغريقى بالذات ، ولا يمكن أن تتصور وجود فن شيكسبير الا فى عصره وبيئته .. وهكذا .

هذه بديهيات ، ولكننا لانزال فى حاجة الى معرفتها لتشترك فنوننا فى حياتنا وتتفاعل مع أحداثنا .

ومع ذلك فان أحداثنا بلغت من الحيوية والأهمية درجة أيقظت فنانينا من نومهم العميق ، وأرجو ألا يناموا مرة أخرى فى أبراجهم العاجية أو فى سراديب الانزواء .

لقد استفدنا من يقظتهم أنهم قدموا مسرحية تدور أحداثها حول فلسطين ، اسمها « **لا حدود** » ، كتبها **محمود شعبان** واخرجها فوزى درويش ... ان هذه المسرحية تصور اسرة أخرجت من أرضها فى يافا ، وتريد العودة الى هذه الارض ، ولكن قوى البطش والاستعمار التى أخرجتها وضعت حدودا مصطنعة بينها وبين وطنها ، واذن فلابد من الكفاح لازالة الحدود الاستعمارية المصطنعة ... الفكرة واضحة ، والطريق واضح ، والعبرة فى التاليف المسرحى فى مثل هذه الموضوعات أن يقدم المؤلف « رؤية غنية » جديدة أو تفسيرا جديدا ... ولم يحدث هذا فى هذه المسرحية ... ان المؤلف صور أسرة عادية لم يقصد منها تقديم نماذج بشرية مثلا ، ولم يستخدم الرمز مثلا ، ولم يركز الرؤية فى قطاع معين مثلا ، ولم يضع فى الحوار فلسفة معينة ، ولم يعبر عن وجهات

نظر غير مألوفة أو غير متوقعة ، ولم يحاول اعطاء تفسيرات غير معروفة ٠٠٠ بل هو فى الحقيقة لم يحاول تقديم عمل مثير مقصود به الاثارة ، وانما ركز اهتمامه فى محاولة اشباع الشخصيات المسرحية اشباعا فنيا ٠٠٠ ومن أجل ذلك رأينا فى الأسرة التى تريد العودة الى أرضها افرادا يبحثون عن « الفلوس » ولو بالعمل مع شركات أو هيئات لم يتبينوا حقيقة مقاصدها ، ثم يتبين لهم فى النهاية أنها مقاصد سيئة ، وعندئذ يفيقون ويعودون الى أسرتهم ليشاركوها الكفاح من أجل العودة ٠

وبهذا استطاع المؤلف أن يصور نواحى الضعف البشرى ، وكيف يقع الانسان أحيانا تحت اغراء المال ، وبهذا استطاع أن يتحاشى « **الخطابية** » فى مشاهد كثيرة ، ولكنه وقع فى الخطابية فى مشاهد أخرى ، مثل مشهد الطفل الذى حاول أن يتخطى الحدود وقابلته الأسرة هاتفة بأنه « لاحدود » ، ومثل مشهد تجمع الأسرة فى شبه مظاهرة هاتفة بالكفاح٠

هناك مسألة أخرى لجأ اليها المؤلف لاستكمال التعبير ، فقد مزج فى الأحداث خطوطا عاطفية ، وفعلا تشابكت هذه الخطوط مع هذه الأحداث ولكنها لم تكن مقنعة تماما ٠٠٠ كيف ؟ اننا نرى فتاة تتبادل الحب مع أحد الشبان المكافحين ، وبدلا من أن تتزوجه تتزوج شابا آخر من فئة الطامعين فى المال والثراء بالعمل مع هيئة العملاء ، وعندما يفتضح امر هؤلاء العملاء ويتبرأ منهم الشبان الذين كانوا طامعين فى اموالهم تعلن الفتاة أنها لاتزال تحب الشاب المكافح ، وانها لم تحب أحدا سواه ، وانما تزوجت غيره ليتفرغ هو للكفاح !! وأظن أن هذه حجة غير منطقية ٠

ومع ذلك فالمؤلف حاول أن يستلهم من موضوع فلسطين عملا دراميا ، وهذه عملية ليست سهلة ، لأن المؤلف فى مثل هذه الموضوعات يعمل فى مجال محدود ويتقيد بمواضعات لا تسمح له بتجاوزها ، والا فانه اما أن يغير الحقائق التاريخية ، أو يغير منطق الفن ، وهو فى الحالتين يتعذر عليه أن يقدم عملا مرتفع المستوى سواء من وجهة نظر الفن أو من وجهة نظر التاريخ ، الا اذا كان من البراعة والتمكن بحيث يصهر الفن والتاريخ فى مجال واحد ٠٠٠ ومؤلفنا حاول ذلك جهد مايستطيع ، وله فضل هذه المحاولة ٠

فى الاخراج والتمثيل رأينا المخرج يحاول رسم ميزانسين على مستويات متعددة ومتدرجة ، ولكن عندما رأينا الشخصيات المسرحية تتحرك على هذه المستويات لم نلمس ارتباط المعانى بهذا التعدد والتدرج ٠٠٠ فمثلا رأينا العملاء فى بعض المشاهد يمثلون على المستوى الأعلى ، ورأينا الشاب المكافح يقف فى مستوى خشبة المسرح ٠٠٠ والمسألة ليست مسألة « فوق وتحت » ، ولكن المفروض أن العملاء يتحركون فى الخفاء لتدبير جرائمهم ، وهذا يستلزم أن يحاولوا الاستخفاء ، فكيف يوضعون غالبا فى أوضح مكان على المسرح ٠٠ ربما قصد المخرج بذلك أن يؤكد أن جرائمهم مفضوحة ومكشوفة ، ولكن مما يزيد عمق الحدث الدرامى أن يبرز توهمهم أنهم أذكياء ثم تثبت الأحداث ــ على المسرح ــ أنهم أغبياء ٠

ومع ذلك فالمخرج فى نطاق هذا الميزانسين قدم حركة حية ، سواء فى ذلك حركة الافراد أو حركة المجاميع ، وفى المشهد الأخير الذى صور فيه مظاهرة استطاع أن يقدم تشكيلا معبرا ، وساعده الممثلون على الاداء رغم صعوبة أداء الروايات الوطنية ، ولو أنهم كانوا أحيانا ينساقون الى الخطابيات ٠
ينساقون الى الخطابيات ٠

فى هذه المسرحية رأينا ظاهرة جديدة ، وهى استخدام الأهازيج الغنائية فى البداية والنهاية وخلال الفصول ٠٠٠ كتب هذه الاغانى عبد الله شمس الدين

ولحنها محمود الشريف ، وغناها محمد رشدى والمجموعة ، وهذه العناصر كفيلة بان تقدم عملا غنائيا ممتازا ، ولكنه فى هذه المسرحية لم يكن ممتازا بالدرجة التى كنت أترقبها ٠٠٠ لماذا ؟

لأن الالحان قدمت على المسرح بالاسلوب الفردى ، وليس بالاسلوب المسرحى ٠٠٠ ان كل أغنية ــ فى ذاتها ــ جيدة كأغنية ، ولكننا لم نشعر بارتباطها بالنص الدرامى ٠٠٠ ان من السهل حذف اى أغنية منها ، أو حذفها كلها دون أن يؤثر ذلك على سياق المسرحية ، وهذا دليل عملى على انها أغان غير درامية ٠٠٠ وطبعا من الاسراف أن ننتظر ظهور الاغانى الدرامية فى مسرحنا ، وانما من الطبيعى أن تولد هذه الاغانى فى المسرح الذى يعتبر مجالها الاول ، ومن هنا تبدو أهمية هذه التجربة كمحاولة لاستخدام الاغانى فى مكانها الطبيعى ، أى فى

المسرح . ومن أجل ذلك اناقش مؤلفها وملحنها ، وارجو ان يواصلا – هما وزملاؤهما الموهوبون والملحنون – مثل هذه التجربة والاستفادة من اخطائها ، لنقترب من الاغاني الدراميه ، فان هذا الاقتراب سيقربنا الى فن الاوبريت وفن الأوبرا .. واننا بدون ممارسه هذه التجارب سنظل مختنقين في الاغاني الفرديه والاغاني السطحيه والاغاني التطريبيه وغير الموضوعية .

فالملاحظه الاولى على اغاني هذه الرواية انها فردية الاسلوب ... كلها اغان يمكن ان يؤديها اى مطرب في الراديو او في سهرة او في حفله مثلا ... والملاحظة الثانيه انه لم يستخدم فيها عنصر الحوار الفني ... وهذا جائز في المواويل مثلا ، ولكنه غير جائز في الالحان المسرحية ... والملاحظة الثالثة انه ليس لها مكان « معين » في الرواية ، فمن السهل أن تغنى في اول الرواية أو في الفصل الأول او الثاني .. ولو روعيت المواضعات الفنية لكان من المحتم ان توضع في مواضع محددة يتعذر أو يستحيل وضعها في غيرها .

ومع ذلك فهي تجربة تستحق كل تشجيع ... أولا لأننا في حاجة الى هذه التجارب ، وثانيا لأن هذه الأغاني – مهما يكن الراى فيها – تعتبر أرفع مستوى من أغانينا المألوفة ، فضلا عن ان المؤلف عبر فيها عن معان موضوعية ، والملحن تحاشى التطريب من أجل التطريب .

وهناك عمل فني آخر يدور موضوعه حول فلسطين رايناه على مسرح سيد درويش بالاسكندرية ... انه لوحات غنائية راقصة قدمها « مسرح الاطفال » باسم « قمة النصر » ، والمدهش ان الذين أدوا هذه اللوحات على المسرح كلهم من الاطفال وتلاميذ وتلميذات المرحلة الأولى الابتدائية .. قدموا استعراضا ممتازا في مجموعه ، بل رائعا بالنسبة لأطفال ...

ان فكرة الاستعراض بسيطة ، وهو لايعدو عرض لوحات متتابعة ، وكل لوحة تمثل احد البلاد العربية ، وروعي في التاليف والتلحين والأداء ابراز اللوحات بالاسلوب الفني المعروف عن كل بلد ... وبديهي ان الذين اشتركوا في التاليف او التلحين ليسوا من الأطفال ، انهم فنانون من المشتغلين في الحقل الفني ، ولكن العجيب أنهم جميعا من الفنانين غير المشهورين ، باستثناء المخرج حسين فياض الذى اشتهر ببرامجه في التليفزيون ، وانما المهم أنهم – جميعا – بذلوا جهودا كبيرة لتقديم هذا الاستعراض .

اعجبني أنهم لم يكرروا أنفسهم رغم كثرة اللوحات ، فقد قدموا خمس عشرة لوحة ، واعجبني جدا أن مؤلفاتهم والحانهم كانت مطبوعة بالطابع المسرحي الى حد كبير ... ففي التاليف روعيت تكوينات المجاميع ، وفي التلحين وتصميم الرقصات روعيت الايقاعات المناسبة للعرض المسرحي ، واستخدمت الأدوات الموسيقية المناسبة للغناء المسرحي .

لي بعد ذلك ملاحظات كثيرة ، منها مثلا أن النصوص تنقصها الوحدة الفنية سواء بالنسبة لكل أغنية او بالنسبة لمجموع الأغاني ، ولكن مهما تكن الملاحظات فان هذا العرض قدم لنا تجربة جديدة واصيلة ، ومن الممكن لو واصلنا مثل هذه التجربة أن ننشىء في مسرح الاطفال فن « **اوبريت الأطفال** » ... ويكفي اننا نقدم لأطفالنا نماذج فنية تعلمهم أن الفن مرتبط بالأحداث ، وأن هدف الفن هو خدمة المجتمع ، وأن المسرح هو المجال الحقيقي للغناء والرقص المرتفع المستوى ... يكفي أنهم يمارسون الفنون بمفهوم آخر ، يختلف عن مفهومات فناني اغاني الطرب ، وفنانات رقصات «**الشخلعة**» .. يكفي أننا نخلق جيلا جديدا يمارس الفن الجديد الملائم لمجتمعنا الجديد .

حكاية أدهم الشرقاوى :

قرأت في « الرسالة » كلمة الاستاذ عبد المنعم البحقيري ، التي يطالبني فيها بابداء الراى في موضوع ادهم الشرقاوي ... انه يرى ان في حياة ادهم ما يشرف البيئة الشعبية ، بعكس راى الاستاذ محمد فهمي عبد اللطيف الذى كتب في « الاخبار » انه لم يكن بطلا قوميا ولم يكن في حياته مايشرف البيئة الشعبية ... والمسألة من الوجهة العامة تتصل بموقف الفن من الواقع ومن التاريخ ، وخبراء الفن لهم في ذلك آراء كثيرة وعميقة ، ومنها أن الفنان من حقه أن يستلهم الأحداث كما هي ، أو أن يفسرها « **برؤية فنية** » جديدة ... وأنا شخصيا اشتركت في الموافقة على رواية في المسرح التليفزيوني صورت ادهم بطلا شعبيا ، لأن الرواية لم تصور أدهم « الشخصي » ، وانما استخدمته رمزا فنيا لكفاح الفلاحين ... ومع ذلك فمن الأفضل أن نستمع أولا الى رأى الاستاذ فهمي عبد اللطيف ، ثم نفتح باب المناقشة العلمية في الرسالة لنحاول الوصول الى الحقائق التاريخية والحقائق الفنية .

عبد الفتاح البارودى



الشعوبية ابدا

البحث الذي صدر بعنوان « **الشعوبية** » للسيد الدكتور **محمد عبد القادر حاتم** يجيب على أسئلة كثيرة تشغل بال الانسان المعاصر ، وينظر الى قضية الوجود العربي نظرة شاملة ، من خلال مصطلح « الشعوبية » الذي لايقف عند فترة خاصة من التاريخ ، وانما ينسحب على الكيان العربي حتى اليوم .

ولنقف بعمق عند دور الشعوبية .. نقف عند هذه الكلمات « وانما الشعوبيون هم اولئك الذين حقدوا على العرب وحملوا راية الكيد لهم ، وحاولوا جهدهم القضاء على العنصر العربي واعادة السلطة والسيادة للعنصر الاعجمي ص ١٧ .. وواضح من التاريخ ان من صفات الشعوبي أنه ينتهز الفرص لكي يقضي على القومية العربية كما قضى على الدولة الاموية العربية ، وكان الشعوبيون ينضمون لكل خارج على القوميين ، وكانوا يفرحون ويبتهجون بخروج كل شخص على الدولة الاموية العربية لانهم كانوا يحقدون على العرب عامة .. وكانوا ينتهزون تلك الحروب التي تشنها تلك الاحزاب المختلفة من العرب ضد الدولة الاموية ، لانهم يرون انهم سيقضون على هؤلاء الخارجين ثم على الامويين في وقت واحد ، وبذلك يضعف الغالب والمغلوب من العرب ، وفي هذا قوة ونجاح لهم وانتصار للشعوبية ،

ولقد توصل هؤلاء الشعوبيون الى الظهور في جسم الدولة العربية على عدة مراحل **كان أولها** اظهار انفسهم بأنهم مضطهدون ، **وكان الثاني** طلبهم المساواة ، **اما الثالث** فكان التعالي على العرب ، والعمل على تقويض الحكم العربي عن طريق الافكار المسمومة ، ووقوفهم « كجزر ناتئة » وسط المد العربي ، وانضمامهم الى كل الثورات التي تدق في الكيان العربي سواء أكانت تقدمية أم رجعية

ولقد استفادوا من كل الاوضاع في المجتمع العربي، ففي عهد الحكام الحازمين كانوا يبررون موقفهم بأنه رفع لقبضة الحكم الضاغطة ، وفي عهد الحكام المتسامحين كعمر بن عبد العزيز كانوا يقولون انها فرصة لابد من اقتناصها ، الا ان ما كان يميزهم دائما هو تشجيعهم للدعوات الانفصالية والاقليمية والمنحرفة، وكل ما يحقق لهم منافع خاصة في الاوقات التي كانت تشغل فيها الامة ببناء نفسها ، أو في الاوقات التي تشغل فيها عن نفسها بسبب من الاسباب .

على أن النقطة المثيرة حقا كانت الاجابة على السؤال الذي يقول « **هل هناك شعوبية معاصرة؟** »

ولقد طرح هذا السؤال في الفترة الاخيرة أكثر من مرة ، فقد قرأناه في كتاب صدر في بيروت بعنوان « **الجذور التاريخية للشعوبية** » لعبد العزيز الدوري ورأيناه يقرر من أهداف الشعوبية المعاصرة ابادة العرب ونسف الاسلام وزعزعة

الوجود العربي ، وقد اجهد الشاعر علي أحمد سعيد نفسه وهو يحاول تحطيم هذا الكتاب في مقال نشر بالعدد الثالث من مجلة « أدب ».

كما أن الاستاذ ساطع الحصري في كتابه « **دفاع** عن العروبة » أكد وجود الشعوبية المعاصرة في وجودنا الحاضر ، وذهب الى أنها تدعو الى الانفصال والاقليمية والى القوميات المحلية المتعددة ، وعدم الاعتراف بالكيان العربي الكبير .

اما الدكتور **عبد القادر حاتم** فقد كانت اجابته حاسمة على هذا السؤال الذي يقول « هل هناك شعوبية معاصرة ؟ » فنحن نراه في صفحة ٣٤ يقول « **واذا اطلنا النظر ، وتمعنا في حاضرنا العربي لوجدنا ايضا من يمكن تسميتهم بالشعوبيين الذين يدعون للاقليمية والقوميات المحلية ومحو القومية العربية على طول الخط** ».

ثم يذكر الكتاب أن القومية العربية الشاملة اضعفت هذا التيار ، ثم نراه يدين القوميين السوريين ـ الذين صفق عندنا لبعضهم في الشعر في الفترة الاخيرة ـ ويؤكد أن القومية العربية لاتقر تلك القوميات الضيقة التي ليست من القومية العربية في شيء ، والتي يساندها الغرب ، بالاضافة الى اسرائيل التي تقول « ان القومية الحقيقية في الشرق الاوسط هي القومية الاقليمية ، وليست القومية العربية القائمة على تأكيد وحدة العرب »ثم يختم الدكتور عبد القادر حاتم بحثه بقوله « اذن .. فنحن حين نتأمل في حركات الشعوبيين منذ العصور الاسلامية الاولى ، يجب أن نتعلم وسائل هؤلاء الشعوبيين ونتنبه اليهم ، وننبه الرأى العام العربي الى مكائدهم ، ونجمع صفوفه ، حتى لانخدع بأمثال تلك الدعوات التي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب والخراب » .. والكلمة الاخيرة هنا أن هذا الكتاب قد تعرض للشعوبية على المستوى السياسي ، أما ما يحتاج اليه الحقل الادبي فهو التعرض للشعوبية المعاصرة من خلال الفكر ، واعتقد أن هذه الظاهرة أصبحت من الوضوح بحيث لايمكن استيعابها بكتاب واحد ، ونحن في انتظار الفارس الذي يركز القلم على أكثر من قلعة ، ولن نقول الذي يعلق الاجراس في رقبة أكثر من قط !

الغزو .. والصمت

مضت فترة كبيرة وبعضنا يجامل البعض الآخر ، الى حد انه اصبح من المقرر أن على أبناء المهنة الا يتعرضوا لبعضهم الا في رفق ، أو لاشادة ، أو لتنصيب على عرش من عروشنا الادبية .. وفي ضوء هذا لم نحس « بوهج النقد » ، ولم نخرج في أية معركة أدبية بفائدة ، لان المصالح سرعان ما تتشابك ، والاعين سرعان ما تتلاقى على السلام والمودة ونسيان الشيء الذي دار النقاش حوله .

ولقد كان كتاب « الغزو الفكري » هو السلاح الجديد الذي شرع في الحقل الادبي في هذه الايام ؟ وبالرغم من أن هناك من قللوا من أهميته ، ومن اعتبروا صمتهم نوعا من الحرب ، الا ان مما لاشك فيه أن هذا الكتاب بما يسوق من قضايا هامة وموجودة في حياتنا يعتبر جريئا ونافذا الى ما بعد الشغاف !

انه ليس معنى هذا أني اوافق على ماجاء في الكتاب، فانا اخالفه في البعض وبخاصة في التطبيق الخاص بالاستاذ عبد الرحمن الشرقاوي .. ولكن هذا لايمنع من وضع وسام على صدر صاحب اليد التي لم ترتجف وهي تكتب ما تعتقد ، لان ما قاله لم يحدث ، من فترة كبيرة ، حينما سمعنا اصواتا جريئة ممثلة في الدكتور طه حسين ، وعلي عبد الرازق ، وخالد محمد خالد .. الخ ، ثم هدأنا بعد ذلك لنقول ما يسلي ، أو يجامل ، أو يسخر منا أمام بعض الدول .

فما قيل في هذا الكتاب يهمس به في الاوساط الادبية ، أو يعالج في بعض المجلات على حياء ، في الوقت الذي تتعالى فيه بعض الاصوات بالقول بانحطاط الانسان العربي ، واعلان موت الله ، والسخرية من الجماهير ، ورفض الدين والاخلاق والقومية .

والذي نريد أن نقوله هنا هو لماذا ينزعج البعض حين تقال كلمة مضيئة من أجل العرب ؟

ولماذا يسمح بمناقشة الله ولا يسمح بمناقشة فلان أو علان ؟ ولماذا تظل بعض المناطق « مقفلة » أمام الاقلام ؟ ولماذا نهلل لقلم « يصعر خده » ، ولا نسمح لقلم بان يشك هذه الكبرياء ؟

ومهما يكن من شيء فالكاتب « **محمد جلال كشك** » قد غرس في لحم الوسط الادبي عدة رصاصات ،

اعتقد أنها لن تخرج منه الا بالعـــديد المثمر من المناقشات ، أما الصمت عنها فلن يخفى حقيقـــة التمزق الذي حدث ، لن يحجب تلك الافـكار التى تقول :

● ان الذين ظلوا يرددون تصفـقون بان لاثورية فى الاسلام ، الا بنفى الاسلام ومحاربة الاسـلام ، وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام ثورة الجزائر التى تعتبر من أعظم ثورات العصر بروحها الاسلامية .

● أزمة المشرق العربى أو ازمة الحركة العربيـة هو ذلك الجفاء بينها وبين الاسلام .

● هناك رعب يتجسد فى الغرب كلمـا أحس بالتماسك بين العرب ، وبعدم التفـرقة بين العرب والاسلام .

● اننا حين نتحدث عن حضارتنا نعنى الاسلام، حتى ولو كان لنا امتداد عربى قبل الاسلام ، ورغم الاعتزاز بالحضارات الفرعونية والبيئية والفينيقية ، فان الاسلام هو التراث الحضارى للعرب مسـلمين ومسيحيين .

● الدين قضية وجود لاتدين

● العروبة لاتنفصل عن الاسلام .

● ليس ثوريا ولا تقدميا من يهاجم الاسلام .

● الاختلاف بين الكنيسة المصرية وكنيسة روما هو فى حقيقة جوهره خلاف حضارى .

● الغرب يشن الآن حملة جـديدة فى الحروب الصليبية الابدية بين الغرب والشرق .

● هناك من يتكلم باسم هـذه الحرب فى الفكر المعاصر ومهما يكن من شىء فان هنـــاك هزات يفجرها الوجود الادبى فى كل ما سبق التسليم به ، كل شىء الان يناقش بحرية وضراوة ، ولعل هـذا يعطى الحق لمناقشة كل ما يمس صميم وجودنا ، وما يجعلنا نقتحم « الجيوب المغلقة » فى الفكر .. دون أى حساب ــ فى المعركة ــ للمجاملة أو ايثار العافية او خوف على المصالح المشتركة .

انني لست أنسى الاصدقاء الذين حـذرونى من الكتابة عن تفشى الرموز والمواقف المسـيحية فى الشعر المعاصر ، وكيف أن بعضهم قد أشـفق على وانا أقرر من خلال قراءة مستوعبة أن هناك توجيها ذكيا وحثيثا لاستشراء هذه الظاهرة ، وأن بعضهم مازال يلوى وجهه وغضبه كلما رآنى ، وأن بعضهم كان حريصا على أن يضع « سن قلمه » فى مواجهـة « سن قلمى » ، وكأنه يقول لى بكل رفق « قف » ، ولعل الجديد فى الموضوع أن الذين نزلوا المعـركة وجهت اليهم دعوة سريعة ومغرية للكتابة فى مجلة « **حوار** » .

ان الذى ندعو اليه فى مواجهة الذين يعملون على « نسف » تاريخنا الكبير من بعض « الشقوق » هو اظهار دوافعهم أمام القارىء ، ثم السير وراء هـذه الشقوق لمعرفة من أين تبدأ والى أين تنتهى ، ثم انه لابد من الاصغاء لكل صوت جديد ، ومناقشته فى موضوعية تامة .. أما الصـمت فهو الرمل الذى تضع فيه النعامة رأسها ، وهو ستار الدخان الـذى تتم خلفه المعركة الحقيقية .

موقف كاتبين .. والشىء الخطير

لقد تعرضت فى أكثر من مقال الى الدور الـذى يقوم به توفيق صايغ فى افسـاد الادب ، وفرقة المرتزقة باسم الادب ، والى كمية السم التى تقـدم للانسان العربى على صفحات مجلة « حوار » ، وقد لفت نظرى فى مجلة الآداب (سـبتمبر ١٩٦٤) موقف أديبين مصريين كانا يتعاملان مع هذه المجلة، والكاتبان هما **صـلاح عيسى وصبرى حافـظ** ثم حين تكشفت لهما الحقيقة وجها بيانا جاء فيه ، « لقد تأكد لنا ياصاحبى استعمارية مخـطط المؤسسة العالمية لحرية الثقافة والتى تصدر عنهـا « حوار » تأكد لنا هذا من خلال المراسلات المتبادلة بيننا وبينكم ، ومن خلال تاريخ المؤسسة فى ميدان الكلمة واطلاعنا على مجلاتها المختلفة ومن خـلال مؤازرة هذه المجلات لقاعدة الاسـتعمار فى بلادنا .. لاسرائيل ،ومن خلال الحقائق المستمرة لما تنشره « حوار » ولطريقة تعاملها مع غيرنا من الـكتاب ، ولكمية المكافآت المريبة التى تدفعها لكلمات تقتل مستقبل الانسان العربى » .

وهكذا يبدو الموقف الآن أن بعض الكتاب مازال يصر على « القبض » من هذه المجلة ، والبعض قد نفض يده إخيرا من هذا المال المشبـوه ، والبعض يتحرك الان ليقبض ، ولقد كان فى مقـدمة الذين رفضوا التوسلات والاغراءات المالية عند التحضير لهذه المجلة عباس محمود العقاد فبيته يضم عـدة رسائل من توفيق صايغ لم تكن تقصد غير توريطه بذكاء . ولكن ذكاء العقادتفوق على كل ذكاء! .. أما الشىء الخطير والذى ربما لايعرفه الكثيرون ، فهو ان «المنظمة العالمية لحرية الثقافة » لها فرع فى القاهرة وأن هذا الفرع يباشر اعماله بكل هدوء !! بكل هدوء !

« **عبده بدوى** »

الكتب

نقد وتعريف



يقدمه: تحسين عبد الحى

ألوان من الفن الشعبى

من بين المشاكل والمحن المتراكمة عبر الزمن – ومن خلال الامانى والآمال الانسانية التى يعطيها المرء لنفسه ساعة الشدة تخرج الفنون الشعبية بالطبيعة – هى شعبية لانها فى الغالب مجهولة المؤلف .. ومؤلف الفنون الشعبية – هو الشعب – بقطاعاته المختلفة – وأجياله المتعاقبة – كل جيل – بتطلعاته وآماله – وطبيعة الحياة التى يعيشها يضيف اليها من عنده ما يتلاءم مع وجوده – والمشاكل التى يواجهها – لكى تأتى فى النهاية ذات طابع اسطورى جذاب – والفن الشعبى – فن أصيل عريق – اكتسب الاصالة من صدق المعرفة ، واكتسب العراقة من الهام الفطرة ، ويكون الفن دائما حيث تكون حرارة النفس ، ورهافة الحس . وانطلاق الروح – فلحن الراعى ، وترنم الشحاذ وهزيج الحادى فى قافلته ، ونداء البائع على سلعته . وأنين الشاكى فى نشيجه ، كل هذه الترانيم التى تنبعث من الاعماق – وهى تحمل هيام الروح ، وظمأ العاطفة ، ولهفة النفس ، اعرق فى الفن ، وأقرب الى القلب ، وأقدر على اقتحام المشاعر من تلك الالحان المصنوعة المرسومة – التى تعتمد على زخرف الصنعة وبهرج الاداء – فاذا افتقد الانسان فى الفنون الشعبية براعة الصناعة وحسن التقسيم والترتيب بين مقامات النغم ، فانه يجد فيها روعة الالهام ، وبساطة الفطرة وسماحتها ، وصدق الاداء ولطافته ، كذلك المعنى الذى يحسه فى شدو الطير وهديله وجرى الماء وخريره – هى تعبير عن الذات الانسانية ببساطة ويسر . وعندما يحاول المرء منا أن يعرف الى أين ينتمى حقيقة . فليتذكر ايامه الاول فى قريته حين كان عالمه الطبيعى الجذاب والذى كان عامل الترفيه الاساسى والوحيد فيه ذلك الشاعر القادم من بعيد بربابته – ليحكى له سيرة الآباء والاجداد بشهامتهم ونبلهم وبطولتهم الاسطورية – لينمى فيه من حيث لايعلم الحس المرهف والذوق السليم .. اننا ولا شك مدينون جميعا للاديب الشعبى سواء أكان شاعرا او راعيا الخ – بالكثير فى فترة نمونا العقلى الاولى ، فاليه يرجع الفضل فى وضع الاساس لكثير من معارفنا – ولو بصورتها البسيطة . والفن الشعبى من ناحية أخرى يعتبر شبه تاريخ متداول على السنة الناس – وهو كذلك تراث غنى ممتع الى أبعد مدى .. واذا كنا الآن قد أخذنا ننظر بعين الاعتبار الى فنوننا الشعبية فاننا فى الواقع نكون قد بدأنا الطريق الى اكتشاف نفوسنا واكتشاف طبيعة شعبنا .. بعمقها واصالتها وحيويتها المتدفقة ..

***

واذا كانت مجلة الفنون الشعبية على وشك الصدور – حيث يصدر العدد الاول منها فى اول اكتوبر القادم – فاننا فى أشد الحاجة الى طرح قضية هامة امام هذه المجلة التى يمكنها أن تكون رائدة فى هذا المجال .. والقضية كما نعتقد هى فنوننا الشعبية على مستوى الوطن العربى – اذ انه

من المعروف لدينا جميعا ٠٠ ان معظم الفنون الشعبية تكون دائما وليدة ظروف معينة يعيشها الشعب ـ سواء أكانت هذه الظروف ـ ظروفا اقتصادية او اجتماعية أو نفسية الخ ٠٠ عبر مراحل تاريخه المختلفة ٠٠ وشعبنا العربى من المحيط الى الخليج بكل كياناته السياسية المعروفة ـ قد تعرض لظروف واوضاع متشابهة ٠٠ فالمهم هنا هو الا يكون مجال العمل امام مجلتنا المنتظرة ـ سواء فى مقالاتها أو ابحاثها أو نماذجها المختلفة التى سوف تقدمها للقارىء ـ مجالا اقليميا ضيقا ـ يقتصر على الحدود السياسية للجمهورية العربية المتحدة ٠٠ والواقع اننا نمر بمرحلة تفرض علينا طبيعتها ومتطلباتها أن نرتفع الى مستواها القومى ٠٠ حيث يخدم كل عمل ثقافى جديد قضية أمتنا ومصالحها العليا لا أن يكون بحجة الثقافة ـ عملا انعزاليا ـ اقليميا ٠٠

***

ان امام مجلة الفنون الشعبية ميدانا واسعا ورائعا ٠٠ وعليها كذلك تقع مسئولية تجميع ماتناثر من فنون شعبنا ودراستها بالاضافة الى عمليات المقارنة المفيدة بين المعانى المختلفة لهذا الفن فى كل انحاء وطننا العربى ٠٠ اذ أنه مما لا شك فيه أن لهذا الاجماع الشعبى المتعاظم على طلب الوحدة العربية الكبرى أصولا ضاربة فى اعماق الانسان العربى الفرد ـ وهو يعبر عن هذه الاصول بأهازيجه المختلفة على شواطىء الفرات والنيل وبردى وعلى قمم أوراس وفى النجف الاشرف وفى رحاب الجزيرة العربية وعلى هضاب المغرب وسهول تونس الخضراء ٠

ونحن لا نشك لحظة واحدة فى أن الزميلة الجديدة ـ مجلة الفنون الشعبية ـ سوف يكون لها من الاثر الكبير والفوائد المتزايدة ـ ما يتناسب ومقدرة رئيس تحريرها الدكتور عبد الحميد يونس الذى عرفناه رائدا ومعلما وموجها فى مجالات الفن الشعبى ٠٠

***

وكتاب اليوم يقدم لنا ـ الوانا من الفن الشعبى وهو من تاليف ـ الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف٠

والكتاب دراسة جديدة للفن الشعبى قصر المؤلف البحث فيه على ناحية خاصة من هذا الفن ـ وهى ما أسماه بالاغانى الهائمة ، ويعنى بذلك تلك الاغانى التى يرددها جماعة الفنانين الشعبيين على اسماع الناس فى الطرقات والمحافل العامة ، التماسا للسؤال ، وطلبا للنوال ٠

وقد قسم المؤلف الفنانين الذين يحترفون ذلك الفن الهائم الى طوائف ٠ لكل طائفة خصائصها فى المظهر ، وطرائقها فى الأداء ولها اغانيها المأثورة ، ومعانيها المتوارثة ـ فمنهم المداحون الذين يوقعون مدائحهم على نقرات الدف ، ومنهم المنشدون الذين يرتلون أناشيدهم وقصائدهم على منعطفات الطرق ، ومنهم الذين يغنون على الارغول ٠٠

يقول المؤلف عن المداحين :

« والمداحون لا يعتبرون انفسهم شحاذين ، يطلبون العطاء بالاستجداء والتمسول ، ولكنهم يقدرون شأنهم اكرم من هذا وأعظم ، ويعتبرون أنفسهم أصحاب صناعة شريفة واهل مهنة دينية يزجون بها الى الناس مواقع العبرة والموعظة ، والافادة بقصص الانبياء ، ومناقب الاولياء ، وكرامات الصالحين ٠

وللمداحين فى أدائهم طريقة لا يشاركهم فيها غيرهم ، وليس لها شبيه فى اى لون من الوان الفنون الشعبية ، وهى أقرب ما تكون الى طريقة الانشاد والترتيل ، يعتمدون فيها على براعة التوقيع وحسن التقسيم أكثر مما يعتمدون على نداوة الصوت ـ وطرب التنغيم ـ ولهم فى ضبط الايقاع على نقرات الدف براعة منقطعة النظير ٠٠ ويرى المؤلف أن مادة القصص التى يتغنى بها المداحون هى من فيض البيئة الاسلامية فى دمشق وبغداد والقاهرة وغيرها من العواصم الزاهرة يوم كانت تفيض على العالم بالوان الثقافات المختلفة وطرائف القصص المتنوعة٠

***

وتعتبر قصة ابراهيم الدسوقى من أوثق القصص الشعبى صلة بالبيئة الريفية ، فكل ما فيها من العادات والمشاهد والتعابير مما يقع فى القرية ويجرى على السنة القرويين ٠٠ بما ينسب اليه من كرامات وخوارق ـ وما يقوله عنه دراويشه من أنه

كان صاحب سر باتع وهو نطفة في الاصلاب ، وانه حفظ القرآن الكريم ، وحصل الفقه على المذاهب الاربعة ، ودرج فى طريق السالكين العارفين بالله ، وهو طفل لم يبلغ الفطام · كل هذا يرويه المداح فى قصة ابراهيم الدسوقى بعد ان يمهد لذلك بمقدمة طويلة يقول فيها :

يا غفلان وحد ربك
وبالتقى عمر قلبك

ما تستعجلش على رزقك
دا عالم بالانسان

وربنا عليم وحكيم
محبى الحق وهو كريم

خلقنا فى خير ونعيم
كله وابن آدم بطران

يا ابن آدم توب وارجع
ان فات منك يوم مايعود

دا العمر له حد وحدود
ولا دايم غير الرحمن

وبعد أن ينتهى المداح من تلك المقدمة الطويلة ، يأخذ فى وصف ولادة الدسوقى ، وكيف فج النور ليلة مولده ووقفت الافلاك صفين ، ونصح الناصحون أمه :

فقالوا لها يا أم ابراهيم
افرشى له فرش عظيم

واوعى له من كل لئيم
عين الحسود تشعل نيران

***

وليس من شك أن واضع قصة ابراهيم الدسوقى قد جرى فيها على نمط قصة المعراج ، وتأثر بوقائعها الى حد كبير ، وكذلك كان لقصة المعراج أثرها وشأنها فى الادب الشعبى للعامة ، كما كان لها أثرها وشأنها فى الادب العالى للخاصة ، فمن هذه القصة استمد أبو العلاء المعرى الفكرة فى قصته الخالدة «رسالة الغفران» كما استوحاها الشاعر الأندلسى ابن شهيد فى قصته «التوابع والزوابع» وهى كذلك الفكرة التى حلق بها دانتى الشاعر الايطالى فى «الكوميديا الالهية» ·

***

ويغنى المداحون جملة من القصص التى تتصل بالسيرة النبوية وتروى بعض المعجزات والخوارق التى تنسب الى النبى عليه السلام والى أصحابه ، وأكثر هذه القصص ذيوعا وشيوعا قصة «الجمل والغزالة» التى كان بطلها يهودى ، وقصة « عامر اليهودى » وقصة «اليتيم المظلوم» وقصة «انشقاق القمر» ·

وتحمل هذه القصص معنى مشتركا ، له مغزاه ودلالته ، ذلك ان البطل فيها غالبا «ما يكون يهوديا ودائما تصف هذه القصص اليهودى بالعناد والمكابرة والخداع والمخاتلة والشح والتقتير ، وهى صفات أبرزها «شكسبير» ابرازا فنيا يثير الاعجاب فى روايته المشهورة «تاجر البندقية» ·

على أن قصصنا الشعبى أروع وأمتع وأحفل بالعجائب والمفارقات عن الشح اليهودى وما طبع عليه هذا العنصر من ايثار المال على كل شىء فى الحياة حتى الشرف والكرامة ·

***

أما المنشدون ، فانهم ينشدون فى أيام الموالد والمواسم الدينية من المقطوعات مايناسب المقام ·· فتكون أغانيهم فى مديح النبى ، والالتجاء الى آل البيت من نوع :

يا آل طه عليكم حملتى حسبت
ان الضعيف على الأجواد محمول

أو قول الذى يقول :

يا آل بيت رسول الله حبكم
فرض من الله فى القرآن انزله

يكفيكم من عظيم الفخر انكم
من لم يصل عليكم لا صلاة له

أما اذا كان هؤلاء المنشدون فى غير أيام الموالد والمواسم الدينية فانهم يغنون فى معانى التأسى والصبر ، والوعظ بأحوال الدنيا ·· مثل :

تحيرت والرحمن لا شك فى أمرى
وحلت بى الأحزان من حيث لا أدرى
وما الأمر أمرى فى البلاء وانما
بليت بدر الصبير من صاحب الامر
ساصبر حتى يعلم الصبر أننى
صبرت على شىء أمر من الصبر

وما أكثر ما يغنى هؤلاء المنشدون حكم ابن عروس ومواعظه مثل :

ما ينام الليل مغبون
ولا يقرب النار دافى
ولا يطعمك شهد مكنون
الا الصديق الوافى

وقوله كذلك :

دنياك ما فيها مغنم
وكلها ماتسواشى
شبه اللى بات يحلم
طلع النهار ما لقاشى

ويغنى الفنانون الشعبيون على الأرغول لونا واحدا من الفن هو الموال ، ويسميه الباحثون فى تاريخ الادب المواليا ، ويزعمون أن ابتداعه يرجع الى جارية من جوارى البرامكة ، كانت تنوح عليهم بعد نكبتهم وتغنى به فى رثائهم ، ثم تصيح فى آخره «واموالياه» فاثر ذلك عنها وسموه بالمواليا ٠

***

والغناء فى الموال يجرى على لحن رتيب مالوف ٠٠ والطرب به يعتمد على الوحدة ، فالمغنى ينطلق فيه بالغناء على هواه وحسبه ما يجد من مطاوعة الصوت وكل جهده أن ياتى فى آخر ربط النغم بالوحدة المحبوكة ٠٠ مثال ذلك :

عينى التى كنت ارعاكم بها باتت
ترعى النجوم وبالتسهيد اقتاتت
وأسهم البين صابتنى ولا فاتت
وسلوتى ، عظم الله أجركم ، ماتت

ويغنون على الأرغول كذلك الموال الشعبى المعروف :
ياواخد القرد اوعى يخدعك ماله
تحتار فى طبعه وتتعذب بافعاله
حبل الوداد ان وصلته يقطع أحباله
تقضى عمرك حليف الفكر والأحزان
ويذهب المال ويبقى القرد على حاله

***

أما الأدباتية فهم طائفة من الفنانين الشحاذين يستجدون الناس بأنواع من الشعر الفكاهى والزجل الساخر مصحوبا ذلك بالتوقيع والنقر على طبل صغير وأغلب ماينشدونه مرتجل فى المعانى التى يوحى بها مقتضى الحال ٠

ومن الفنون التى اشتهر بها المصريون فى مجال النكتة والاضحاك ، ذلك الفن الذى يعمدون فيه الى قلب الاشياء وصرف اللفظ عن معناه الأصلى الى معنى مغاير ٠٠ ومن هذا اللون المقلوب ذلك الشعر الساخر الضاحك الذى شاع فى البيئة المصرية ، وكانوا يعمدون به الى معارضة القصائد المشهورة فى الادب العربى ، كقول الشيخ عامر الانبوطى :

اناجر الضان ترياق من العلل
واصحن الرز فيها منتهى املى

وهو بذلك يعارض لامية الطغرائى المشهورة التى مطلعها :

أصالة الراى صانتنى عن الخطل
وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

وكقول المرحوم حسين شفيق المصرى يعارض أبا نواس فى قصيدته المشهورة :

دع عنك لومى فان اللوم اغراء
وداونى بالتى كانت هى الداء

فاخذ هذا المطلع ومضى به الى وجهة ساخرة ضاحكة قائلا :

من كف صراف بنك لا يجود بها
الا لمن باسمه فى البنك امضاء
من اللواتى عليها رسم مشذنة
بها تعود الى العيان عفياء

وفى هذه الدائرة «المقلوبة» وعلى هذا الغرار نشأ فن «الأدباتية» ونشأت فى مصر تلك الطائفة التى احترفت اضحاك الناس والترفيه عنهم بهذا اللون من الكلام الموزون والمنظوم ٠

« تحسين عبد الحى »

قراءات في المجلات العربية



يقدمها : مصطفى فوده مصطفى

كلمة عن النفاق :

في حديث بارع وحوار جميل يحدثنا الدكتور احمد زكى فى « مجلة العربي » عن النفاق وكانما خشى ألا يقبل الناس على قراءة حديث هذا الشيء الذي يمارسونه دائما ويكرهونه أبدا ، يكرهونه في غيرهم على حين يحلونه لانفسهم متعللين بماتفرضه عليهم الحياة وتطلعاتهم فيها ، وكل له تطلع نحو شيء وحول هذا الشيء يغالط نفسه ويمارس مايكرهه، يمارس النفاق .

نعم كانما خشى الدكتور من تقديم هذا الشيء الذي يكرهه الناس ويلعنون فاعله وفى الوقت نفسه يلعنون أنفسهم فيمارسونه . خشى من هذا فقدم حديثه حوارا يجذب اليه القارىء ويشرح به، أو لعله يكشف للعقول ويرتب لها الشيء الذى تعرفه جيدا لانها على موعد معه كل يوم ان لم يكن كل ساعة ، كل بحسب وضعه فى المجتمع وقوة نفسه . قد يقل هذا عن ذاك نفاقا ، ولكن الكل ينافقون ويعرفون أنهم ينافقون .

ويبدو ان النفاق وجد بوجود الآدميين على الارض وتشابك مصالحهم وتضارب مطامعهم وسيظل معهم حتى الممات . وقد تنبه للنفاق وخطره على المجتمعات ، حكماء كل جيل . وكلهم حاول علاجه وكلهم اخفق . كما تنبه له الفنانون وعالجوه فى أعمالهم . ولعل آخر من حاول هذه المحاولة عندنا هو يوسف ادريس فى روايته « الفرافير »التى كانت مواجهة للمجتمع وكشفا لواقعه المعاش وقرعا لناقوس الخطر ، ولكن هل تنبه احد ؟ الكل ذهب الى المسرح فضحك ملء نفسه على نفسه وعاد كما كان هو نفسه . ونسى العلقة الحامية التى اخذها وعاد يمارس نفاقه وكان الله يحب المحسنين — بعد أن ذهب من وعيه قول يوسف ادريس له على لسان المؤلف «**انتوا مابتعرفوش تمثلوا ؟ بقى داكلام ده انتو طول النهار نازلين تمثيل . طيب من النارده مامثلتش على رئيسه علشان ياخدا جازة ؟ مين ماالفشى رواية علشان ياخذ سلفه ؟ مين ماقامتش بدور السعيدة على الآخر قدام جوزها لما جت امه تزورهم؟ انهى ممثلة محترفة تقدر تطلع التنهيدة اللى بتطلعها الست فيكم لما بتشوف الفستان فى الفترينه ؟ ده انتو حتى جايين هنا تمثلو دور المتفرجين**» .

نعم الكل يمثل والكل يخاتل فى سبيل جلب نفع أو دفع ضر ويبرر ختله ونفاقه بما برره به محاور الدكتور احمد زكى : «بان الحياة تريد هذا» لان حرب المصالح ضارية حتى ليهرب منها الناس بالنفاق لم يقولون : «**ذلك كظم الغيظ الذى نصح به الحكماء**» .

غير انى اعتقد ان هناك فرقا بين مغالطتهم هذه التى يدعونها، وبين كظم الغيظ المقصود، لان كظم الغيظ الذى قال به الحكماء لايكون الا مع المقدرة على الرد، اما قولهم هذا فهو نفاق صراح. ولايحتمل غير ذلك.

وينتقل الدكتور الى حديث عن الخير والشر وان الله خالق لكليهما، وعلى هذا فهو خالق للنفاق. ويدلل على هذا بان الله خبا الانفس فوضع عليها ومن حولها ستارا يخفيها فلاتنفضح. وجعل الفكر من وراء اغلاق .. ليمكننى من ان اخفى عليك وان تخفى على .. وكل اخفاء ستر. ومابين الستر والنفاق الا خطوة انه يمهد للنفاق.» ويعرض بعد هذا لكثيرى النفاق من الخلق وبين انهم: الضعيف والخادم والمرءوس والمأجور والمتهم. والرجل والمرأة ويفصل فى الاخيرة فيقول: ان المرأة انكانت زوجة، فهى أمام زوجها. وان لم تكن كذلك فالرجل امامها.

ويعلل امر ممارسة النفاق لرعاة الفضائل بانهم احد رجلين «رجل يصدع بما يرى انه الحق، فهذا هو الشقى بدنياه ... والناس قدتحترم مثل هذا الرجل حيا، ولكنهم اكثر احتراما له من بعد موت وينقص من احترامهم له حيا النفاق والتقية، فبهما يدفعان الضرة. وهذا الرجل من رجال الاخلاق قلة يجود بهم الدهر من حين لحين ... ورجل آخر من حماة الاخلاق، يؤمن بان النفاق ضرورة من ضرورات الحياة. وهو يأتيه ويسمى هذا حسن التحيل والتلطف فى المدخل.»

وينهى الدكتور مقاله بقوله لمحاوره: «ان كنت تصف حالا عليها الدنيا، فانا اوافق على الكثير مما وصفت. اما ان تبشر بالنفاق صلاحا للدنيا، فان صح ان الدنيا هى كما تصف، فليست هى والله بحاجة الى تبشير. وانا افهم ان يتخذ الفقير والضعيف والعاجز من النفاق تقية، يتقى بهاالشر حتى لا يزداد فقرا او ضعفا او عجزا، ولكن هذا يكون فى البيئات التى يسود فيها الشر والظلم ويستكين الناس فيها الى الباطل، اما البيئات التى تنتشر فيها حرية القول ويسود العدل فيقل النفاق بمقدار ذلك .. فالنفاق لايمكن ان يكون مما يبشر به الناس للناس فهو شر يتقون به شرا وما هو للانسان بغاية.»

مثل لناشئة الادب:

ولعل ناشئة الادب يجدون عزاء فى سيرة هذا الرجل، ويهونون على انفسهم حين يعلمون ما تعرض له ومايتجشم فى سبيل الوصول الى يكون شيئا، ويترك فى سوق الادب ذكرا يجعلنا نتكلم عنه بعد مماثلة بحوالى الف عام.

ويظهر ان محاربة السابقين اللاحقين فى ميدان الفن ظاهرة قديمة قدم الفن نفسه. فالسابقون يخشون مزاحمة اللاحقين، فيضعون أمامهم العراقيل وينصبون لهم الشراك ويتآمرون عليهم بالاهمال فى ايامنا هذه، حتى اذا ماقلت واحدواجبر السابقين على الانحناء له، لم ينس هو الآخر ما قاساه منهم فيظل فيهم خدشا وضربا الى ان يهدمهم ان استطاع. وان كان ذلك من اللا اخلاق فى شىء الا انه فى ميدان الادب شىء اى شىء لانه يثرى ويغنى ويفيد. غير ان هذا اللاحق سرعان ماينسى ما تعرض له من اهمال سابق فيمارس الاهمال فى لاحقيه. او لعله لم ينس مايطلق عليه (الاسقاط) فى علم النفس، اذ يمارس ماتعرض له فى الآخرين. وتدور العجلة او الحلقة المفرغة التى شكا منهاالاوائل ويشكو منها الأواخروسيشكو منها اللاحقون. وتلك سنة البشر الى ان يوجد الانسان الكامل. ومتى يوجد؟!

كنت من مدة فى مجلس ضم بعض أدبائنا ونقادنا المعروفين وجاء ذكر المجلات وماتؤديه هذه الايام وكان ان ذكر انها كشفت عن مواهب كانت مدفونة وفتحت براعم لم تكن تجد كيف تقدم نفسها الناس. غير ان ذلك لم يعجب بعض من كانوا فى المجلس. وقال احدهم: لسنا نرى كيف (اب) هؤلاء على وجه الادب، انها لظاهرة عجيبة. ولعل الاعجب هو نسيان هؤلاء انهم كانوا يوما ظاهرة تحاول هى الاخرى الافلات. فلما تم لها ذلك اسقطت او نسيت.

ولنعد الآن الى (صاعد) الذى قدمته العربى

بقلم جواد علوش . ان صاعدا هذا ولد في الموصل ولكنه في بغداد شب وتعلم وحاول ان يكون شيئا ، الا ان الاضواء التي كانت تشع من شموس الفنون على عهده في عاصمة العباسيين كانت تجذب انظار الناس عنه . وكلما حاول هو ان يتطاول ، لم يجد من ياخذ بيده او يفسح له الطريق . وفي سوق الادب لا أحد يفسح الطريق . وكان صاعدا ذا حيلة فقال في نفسه (بلاد اللهلخلقالله) وسار حتىحطت به الرحال في الاندلس التي كان خليفتها آنذاك هشام بين الحكم وكان أمرها في يد المنصور محمد ابن أبي عامر . واتصل صاعد بالمنصور وما زال به حتى استوزره . فاحفظ ذلك قلوب الاعلام في الفن فاخذوا يكيدون له حتى وافق المنصور على امتحانه . وفي مجلس ضم الاعلام في كل فن مثل صاعد سئل في النحو فاخفق وفي الصرف فكبا ، الا انه كان ذكيا فاستدرجهم الى الشعر وبرز عليهم فيه حتى ان سائله كاد يتوارى حياء وخجلا .

واراد صاعد ان يدعم مركزه فاقترح على المنصور ان يؤلف كتابا اجل واعظم من كتاب النوادر الذي الفه ابو علىالقالي . فالف الكتاب ، فزادذلك من حفيظة الادباء عليه ومازالوا بالكتاب نقدا هادما حتى اتهموا صاحبه في النهاية — في عقله ودينه — واقترحوا على المنصور اغراق الكتاب في النهر . وتم لهم ذلك .

وكان ابن العريف من أشد حساد (صاعد) الذي وصف يوما للمنصور وردة لم تتفتح اكمامها بعد فقال :

اتتك ابا عامر وردة
يذكرني المسك انفاسها
كعذراء ابصرها مبصر
فغطت باكمامها راسها

فلما راى ابن العريف سرور المنصور من هذا الوصف ، ادعى انهما لغير صاعد ، وانهما عنده على ظهر كتاب لاحدالبغداديين بمصرفلما طلب المنصور الكتاب ، ركب الى ابن بدر ، وطلب اليه أن ينظم ابياتا يضمها الى بيتي صاعد فارتجل :

غدوت الى قصر عباسة
وقد جندل النوم حراسها
فالفيتها وهي في خدرها
وقد صدع السكر انفاسها
فقالت : اسار على هجعة ؟
فقلت : بلى ، فرمت كاسها
ومدت يديها الى وردة
يحاكي لك الطيب انفاسها
كعذراء ابصرها مبصر
فغطت باكمامها راسها
وقالت : خف الله لاتفضحن
في ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على غفلة
وما خنت ناسي ولا ناسها

كتب ابن العريف هذا الشعر على ظهر كتاب بخط مصري ورجع الى مجلس المنصور الذي غضب وتوعد صاعدا باختبار عسير وفي مجلس ضم كل فطاحل أهل العلم والفن فاز صاعد الا انه لم يسلم من حساده بعد ذلك وساعدهم على نفسه انه لم يكن يقف عند حد ما يعرف ، بل كان لايملك القدرة على ان يقول : لست اعرف ، معتمدا على سرعة خاطره وحضور بديهته . فمرة اختلقوا كلمة **(الخنفشار)** وطلبوا من المنصور ان يساله عن معناها حتى يظهر كذبه . فلم يتردد صاعد في أن يدعي انها : حشيشة يعقد بها اللبن ببادية العرب . بل ودلل على قوله ببيت من الشعر :

لقد عقدت محبتكم بقلبي
كما عقد الحليب الخنفشار

« ويوما دخل على المنصور وامامه طبق فيه (**تمر**) فساله المنصور : ما **(التمركل)** في كلام العرب فأجاب صاعد : يقال تمركل الرجل تمركلا اذا التف في كسائه ، فرد عليه المنصور بانه اشتق له هذه الكلمة من التمر والأكل . وعجب كيف انه وجد لها هذا المعنى وابتكر هذا الجواب . »

وفي النهاية لعل سيرة هذاالرجل تهونعلى قلوب الناشئة ما يلاقون واني لأقول لهم : كونوا كصاعد اصرارا على الوصول ، ولاتكونون مثله تعالما

مصطفى فوده مصطفى

الأصل والصورة

للشاعر عبد المنعم عواد يوسف

لا، لا تحاول لستها لست التي قد كنتها
هي صورة مني ، ولـ ـكنى هناك دفنتها
انا لم اعد تلك التي بالأمس انت عرفتها
اخرى انا غير التي بالزيف قد منيتها
وبكل انواع الخديـ ـعة جئتها وخدعتها
وزعمت انك يا صفيـ ـق القلب قد احببتها
لا ، لا تحاول لستها لست التي قد كنتها
هي صورة مني ، ولـ ـكنى هناك دفنتها
اخرى انا غير التي بالأمس انت غششتها
او لست تذكر يا دعـ ـى الحب يوم اتيتها
وعلى محياك الودا عة بالخداع رسمتها
واخذت تحكي قصة رحى الخيال ، نسجتها
حتى لقد ابكيتني من فرط ما اتقنتها
صدقت ما قد قلته عن محنة عانيتها
وسنين حرمان طوا ل - يا ملفق - عشتها
اخرى انا غير التي بالكذب قد ابكيتها
حتى اذا ما استسلمت لهواك حينا ، فتها
او لست تذكر ، ياخصيـ ـب الذهن كيف تركتها
نلت الذى تبغيه منها ثم .... ثم مللتها
ومضيت عنها ذاهبا من دون ما ودعتها
لا ، لا تحاول لستها لست التي قد كنتها
هي صورة مني ، ولـ ـكنى هناك دفنتها
لو لم اكن غير التي بالأمس انت عرفتها
ومضيت عنها بعد ما قد عفتها ، ومللتها
لو لم اكن اخرى سوا ها ، ما اخالك جئتها
لو كنت نفس الصورة الـ اخرى لما قاربتها
لو لم تجد بى صورة ما كنت قبل عرفتها
ما جئت تسعى هكذا لو كنتها ، ما جئتها
لا ، لا تحاول لستها لست التي قد كنتها
هي صورة مني ولـ ـكنى هناك دفنتها
انا صورة اخرى اجل غير التي قد كنتها
بالعزم بالاصرار بالـ ـتصميم ، قد اعددتها
وعلى مثال نادر الـ ايمان قد شيدتها
فاذهب هناك ، فلستها لا ، لا تحاول لستها
عبثا تظن انني من - ذات يوم - كنتها
هي صورة مني ، ولـ ـكنى هناك دفنتها



مع الناقد الدكتور احمد كمال زكى

من بين القصائد التى عرضت قصيدتان لمصطفى ابراهيم عمران من غزة ، لفتنى فيهما احساس بالشعر لم ينضج بعد ، ولكن ليس معنى ذلك ان يكف صاحبهما . بل معناه انه لا يزال محتاجا الى استكمال ادوات فنه من لغة ونحو وعروض ، لأن فنانا يحاول الشعر وينقصه هذا كله لا ينتج الا النتاج الهزيل . ولا اريد من مصطفى ابراهيم هذا ، لانه يبشر بخير كثير ولأن تفتحه على الحياة واعد بخصب موفور

انا آخذ عليه فيما آخذه قوله فى قصيدته « حتام تبقى »

والقيد نار فى لظاه يحرق
بغى الأعادى والنفوس الغادرة

وقد غاب عنه أن للعروض ــ وهذا اصطلاح يقصد به آخر كلمة فى الشطر الاول ــ شروطا كشروط القافية التى تتضمن الروى ، وهى تصح لو انه نونها بحيث تصبح « محرق » فيستقيم المعنى بذلك استقامة الوزن تماما . ومثل هذا العيب فى قصيدتيه جميعا !

واما قصيدته « زينات » فاستهلالها يذكرنى بقصيدة الأخطل الصغير « سمراء يا حلم الطفولة » التى عارضها الأمير فيصل بقصيدته التى يغنيها عبد الحليم حافظ . وهو يبدو فيها مهتما بواحدة بعينها الا أن تجربته معها لم تنضج بعد النضج الكافى وهذا سر تأثره بقصيدة سمراء . وبالاضافة الى ذلك يتورط الشاعر فى سلسلة من الأخطاء لا ادرى كيف غابت عنه حتى ليقول :

يا جنتى هل حبك لى لم يزل
مثل الهوى فى قلبيا أو روحيه
والذكريات الحانيات الباسمه
جرح سيغدو نازف من قلبيه

ففى البيت الأول يجب أن يشبع كاف « حبك » حتى لا يختل الوزن ، وقال « قلبيا » ومثل هذا لا يجوز الا فى القافية ، ولعله لو قال « قلبنا » يكون اقرب الى الصحة . واما البيت الثانى بغض النظر عن سقطة العروض فيه يتعرض لخطأ نحوى حتى ليرفع « نازف » والصواب أن تكون النصب

« الشعر » .. ومجلة الشعر
بقلم عبد الصبور منير

طربت وحزنت فى آن واحد ــ كالمجنون تماما ــ يومها .. يوم قرأت نبأ صدور « الشعر » .. تماما كما حدث لى عندما سمعت وقرأت نبأ صدور الرسالة والثقافة ولكن الفارق فى الحالتين انه فى حالة صدور الشعر كان الطرب والحزن ولكن فى حالة صدور الرسالة والثقافة كان الطرب فقط بلا حزن وبلا شجن ..

اقول : طربت .. وحزنت .. نعم وفى آن واحد ..

طربت لصدور « الشعر » ولتولى الدكتور القط

رئاسة تحريرها .. وتشاءمت لأن هناك من يعمل على هتك القوافي وهدم الاوزان ، واقول : ان تشاؤمي هذا كان حقيقة عندما توالت اعداد « الشعر » وبها مقالات السيد غالي التي تأكل كل مقالة منها حوالي عشرين صفحة ان لم يكن اكثر .. وللأسف تخرج منها بلا شيء .. والله العظيم .. ولا شيء .. في حين ينتظر خلف الصفحات الآلاف من الشعراء في انتظار تعليق جارح ان لم يكن سبيل الى النشر ..

وكان نصيب الشعر .. الأصيل .. في « الشعر » بالنسبة الى النثر المشعور كنسبة ٢ : ١.٢ تماما ..

وفي عدد سابق من تلك المجلة قرأت للدكتور نويهي مقالة في الافتتاحية يقول فيها : انهم اتفقوا على تسمية ذلك النثر المشعور او المتشعر بالشعر المنطلق ..

ويومها يا قارئي العزيز انفلتت من فمي لا ارادية هذه الكلمة : هذا غريب ..

اجل .. هذا شيء غريب ..

فقد اتفقوا ـ حضراتهم ـ في اجتماعهم السابق على تسمية النثر المتشعر بـ « الشعر المنطلق » ـ ومن فضلك ياقارئي اقرأها بطريقة الدكتور النويهي ان كنت تقرأه في مجلة الثقافة .. هكذا .. « ال .. مون .. طا .. لي .. قق » ..

ومرة ثانية : « هذا غريب ! »

هكذا وبكل بساطة .. وكأننا في سوق فصال ومفاصلة وكأن الشعر او اسم الشعر شيء يباع ويشترى بلا احساس وشعور .. فصال على الاسم .. والشكل وابتزاز الأنصار ..

وفي نفس الوقت دارت على فمي كلمات :

ـ المنطلق ؟!.. ام المطلوق ؟!.. ام المحلول ؟!.. ام المنحل ؟ ! ام ؟ ! ام ؟ ! ام السايب ؟! يا دكتور نويهي ؟ ! ..

واخيرا .. ماذا استفدنا من « الشعر » ؟!

بكل اسف .. وبكل الأسف .. لا شيء .. ولا شيء .. ثم لا شيء .

العقاد والسودان

بقلم مصطفى محمود مصطفى

تساءل الدكتور أحمد مكي الأنصاري في الرسالة (١.٧٧) في مقاله عن العقاد بعنوان : « العقاد في السودان » : « هل كان العقاد جبانا حينما هرب من مصر الى السودان ؟ »

واني استغرب : كيف يليق صدور هذا السؤال الشديد اللهجة من اديب ممتحن في الادب العربي كالدكتور الانصاري ، خصوصا ، وهو معروف انه كاتب قديم من كتاب الرسالة ، ويحمل ارقى الشهادات في فن الادب .. اقول : هل كان الدكتور مكي في حاجة الى التساؤل بهذا السؤال الذي يحاول فيه أن يثبت او ينفي بالنسبة للعقاد صفتين من أقبح الصفات وهما الجبن والهرب ، وهما من ابرز الصفات عند العقاد

لقد كان العقاد يحب السودان من اعماق قلبه اكثر من اي مصري اخر ، فهو مجاور لموطنه المحبوب « اسوان » ، وهي ملتقى لاهالي مصر والسودان الذي لا ينقطعون عنها ، واخواننا السودانيون معروفون بالحرص على خلق الجد ، وتقاليد الاخوة العربية والاسلامية الأصيلة ، والعقاد كأديب مشهور متفتح الحس ومولود بمدينة اسوان التي ترعرع فيها ، بل ، والتي كان يحرص على زيارتها كل عام ليشتي بها ، لابد وانه اختلط باخوانه السودانيين جيرة بلدته التي احبها من قلبه ، فاحب اخلاقهم التي تشبه اخلاق اهل اسوان . لذلك آثر العقاد الرحلة الى بلدهم الشقيق السودان وفضله على غيره من البلاد الشقيقة ، مع كثرتها وقلة العوائق في طريق الرحلة اليها والمرور بها . ومالي اذهب بعيدا ، والعقاد قد كفاني مؤنة الاستشهاد على هذه الحقيقة ، فقد كتب ابياتا تشهد لي فيما اذهب اليه ، وهو في رحلته تلك الى السودان فوق صورة طلب اهداءها اليه الأديب والصحافي السوداني المبارك ابراهيم ، واني اجتزىء بهذا البيت ، وليسمح لي الدكتور

نكى بانتحاله منه ، فهو صاحب الفضل فى ايراده فى معالته المذكورة :

يا جيرة النيل المبا رك كل نيل موطنى

هذا ، وانى اخالف الدكتور الرأى فيما ذهب اليه فى قوله : « اما الداء الخفى وهو الاستعمار الانجليزى ، فقد رآه العقاد فى ذلك الحين اهون الامرين ، فوقف الى جانبه وسار على مبدأ : « بعض الشر اهون من بعض » . فهذا طعن فى صميم وطنية العقاد ، ومخالف لموقفه من محاربة الاستعمار بكل قواه . فالعقاد لم يكن يحب المستعمر لاجل بلاده التى كان يحتلها . وانما الحقيقة انه كان يؤمن بمبدأ الديموقراطية التى لا تؤمن بها النازية والفاشية الغشوم ، وهو مبدأ تؤمن به بلاده وتعتنقه ، لاجل ذلك حارب خصومها من النازية والفاشية المتطرفة ، فمعركته معهما معركة من اجل المبدأ الذى تؤمن به بلاده .

الزاد الطيب

بقلم زكى محمد عبد اللطيف

جميل جدا ان نرى المختصين بالحفاظ على بيوت الله ورعاية دينه . يحاولون القيام بواجبهم على اكمل وجه ولا ادل على ذلك مما رايته اخيرا

فقد اطلعت على كتاب وزعته وزارة الأوقاف على مساجدها بعنوان « زاد الخطيب »

وهو بحق زاد طيب وغذاء دسم . وخير معوان لكل من يتصدى للدعوة الدينية ، والارشاد الى الطريق القويم . والسبيل المستقيم « وتزودوا فان خير الزاد التقوى »

كتاب حوى بين دفتيه خلاصة الشريعة . وزبدة الأدوية الشافية لامراض القلوب وادواء النفوس .

فى نظام دقيق واسلوب رشيق .

وهى « خطب منبرية » جديرة بأن تسمى « عصرية » لا يستطيع ان يعيبها حاقد او ينقدها سليط ولا غرابة ان تكون صالحة لكل زمان ومكان كما يقول الشيخ الغزالى فى مقدمتها . وكل ما نتمناه ان تداوم الوزارة على اخراج بقية اجزاء الكتاب

البلبل ...
... وغنوة النيل !

احمد عبد اللطيف بدر

بلبل الروض فى الضحا حين غنى
اشرق الكون باعثا ما تمنى

غنوة النيل قد افاضت عليه
كل معنى بها ، فاجراه لحنا !

* * *

غنوة النيل هتفة من فؤاده
صاغها الشوق فى جمال وداده

قد تجلى البهاء ... بين لحون
لحنت شدوه لحب بلاده ! !

* * *

غنوة النيل آية « لوفائه »
صفوه : ان يرى بديع صفائه

فى اقتبال الرخاء يشدو هنيئا
سوف يحيا متمعا فى رخائه !

* * *

غنوة النيل حين يجرى وفيا
بين واد يعيش حرا ابيا

بلبل الروض ردد اللحن فيه
منشدا فى الضحى نشيدا رويا !!

* * *

غنوة النيل فوق عمر الزمان
بين يمن يتيه فى « المهرجان »

رفرف البلبل السعيد يغنى
لحن مجد ، وعزة ، وامان ! !

على القيثارة

للشاعر فتحي سعيد

قيثارتي . . ياجمة الأشعار
يا خشبا ضلوعه أوتاري
يا سلوة الغريب في الأسفار
وجلوة الهموم في الاسحار
تفجري .. وياحتي القيثار
عرج بنا .. وطف عل الديار
ولتسقنا كريمة الفخار
مجلوة . . تطيح بالوقار
معصورة .. من اعتق الاشجار
من كرمة .. يتيمة الثمار
رحيقها يطيب للأبرار
موصولة الجمال .. والتذكار
غنى لها . . مجنح الأسرار
حانته .. تخفى عن الأبصار
ندمانه من اجمل الافكار
وروحه . . يعلو عل المدار
وخطوه . . يضيق بالأسار
عل الدف يدب في احتقار !!
اعماقه . . مشبوبة الأوار
ونفسه . . مجهولة الصحاري

وقلبه .. شلال حب جار
به الذى به . . يدارى . .
من سخريات هذه الأقدار !
فياله من صمته . . الثرثار
يا طالما .. قد عاش في انتظار
في زورق يطوف بالبحار
في رحلة عجيبة الأخبار !!
بعيدة . . كثيرة الأخطار
لم يخش من رعونة التيار
ولا هزيم الرعد والأعصار
للريح منه . . هزة استهتار
لشاطئ جميل الاخضرار
به الحنين طال . . للمنار
فياله . . فتى . . بلا قرار !
يرى لديه مطلع النهار
فلتسقنا . . كريمة الفخار
يعانق المجهول في انبهار
من كرمة يتيمة الثمار
مجلوة . . تطيح بالوقار
قيثارتي .. ياجمة الاشعار
ياخشبا . . ضلوعه أوتاري !

قصة العدد

كيف يبتسم الناس

• بقلم سعد حامد •

غربت الشمس وانا امضي في الطرقات على غير هدى ، واشعر بالوحدة .. انني وحيد وغريب عن هؤلاء الناس لاتربطني باحد منهم رابطة ما ، وان اصواتهم واحاديثهم وضحكاتهم تاتي الى خافتة كأنها تاتي من مكان بعيد .. وبدا لي ان هؤلاء الناس يتحايلون على النسيان ويبحثون عنه .. انهم يسهرون ويضحكون ويتحدثون محاولين نسيان ذلك الشبح الذي يتربص بهم ، والذي يقف هناك على الجانب الآخر من الطريق .. شبح الموت .. الذى ينقض عليهم فجاة ، ويطوى حياتهم في لحظة كلمح البصر ...

لقد حدث كل شيء فجاة ... وبلا مقدمات ...

كنت اعيش مع اخي الذى يصغرني ببضعة أعوام بعد وفاة والدينا ، ولم يكن لنا اشقاء آخرين ، وكنا نسكن في شقة صغيرة في حي هادىء ، وكان اخي طالبا في الجامعة ، وكنت احتل مكان ابيه وامه ، فقد تركه لي أبي صغيرا واوصاني به ، وكنت اعمل موظفا في الحكومة ، وقد عاهدت نفسي على ان اكرس حياتي ومالي لبناء مستقبله ، وكما رباني ابي ولم يبخل على بشيء من ماله او جهده قررت ان ارد الجميل الى اخي الصغير ، وهو احوج ما يكون الى الرعاية والحنان ، وكان يقدر لي هذا الجهد ويحبني اعمق الحب ...

اشحت بوجهي عن كل الكماليات من اجله .. ولم افكر في الزواج من اجله ايضا .. كنت ادرك جيدا ان وجود امراة بيننا سيفسد الأمر كله .. ستريد – وهي زوجتي – ان تستأثر بي لنفسها ، ولن يرضيها قط ان يشاركها اى شخص آخر في حياتي ولو كان اخي ، ستصر على ان تكون حياتي ومالي ملكا خالصا لها .. ولهذا ارجات فكرة الزواج حتى يتم اخي تعليمه ويتوظف .. وقد كانت التضحية قاسية خاصة وان القلب كان قد خنق خفقة الحب ..

كانت « **ثريا** » فتاة من جيراننا من اسرة طيبة ، مات ابوها وتعيش مع اخوتها وامها ، وهي سيدة طيبة كانت تربط بينها وبين امي اواصر صداقة ومودة .. كانت ثريا جميلة ومثالا للخلق الكريم ، وكنت اراها في نافذتها او في شرفة بيتها احيانا ، وكنت التقي بها احيانا في الطريق فيركض قلبي في صدري ويحمر وجهها وتلتقى عينانا فىنظرة معبرة ، وكانت تطرق ، وكنت اواصل سيرى مضطربا خافق القلب ...

كانت « **ثريا** » في حوالى الخامسة والعشرين من عمرها ، وكنت اكبرها باعوام اذ كنت في الاربعين لكنني كنت اشعر من التقاء عيوننا لحظة اللقاء العابرة في الطريق ان هناك شيئا من الحنين والود يربط بين قلبينا .. كانت ثريا هي الامل الحلو الذى يطمح اليه قلبي ، المصباح المتألق الذى سيضيء حياتي ، وكنت اعتقد ان سعادتي في الدنيا ستتحقق يوم يفرغ اخي من دراسته ويتوظف ، ويوم اتزوج من ثريا ...

كانت التضحية قاسية .. ضحيت بنفسي وبمالي وبقلبي من جل عاطفة الاخوة النبيلة ، واحتملت التضحية عن رضا وطيب خاطر لكنني لا انكر انني كنت اتعذب في اعماقي ، وكنت أحس لذعة الحرمان من ثريا تحرق صدرى ...

وفجاة حدث ما حدث ...

ذات يوم بينما كان اخي عائدا من كليته تحرك الترام قبل ان يركب فسقط تحت العجلات ، وحملوه الى المستشفى في حالة سيئة ، وعندما ابلغوني النبأ ، وهرعت الى هناك وجدته قد فارق الحياة ..

كانت الصدمة قاتلة .. مميتة .. لم يمرض ولم يلازم الفراش بل كان يفيض بالشباب والامل والحياة .. اصبت بذهول ، واستحالت الدنيا امام

عينى الى ظلمة دامسة ، ولا ادرى حتى هذه اللحظة كيف شيعت جثمانه الى مقره الأخير ، فقد كنت اسير واتحرك وانظر الى النـــاس كانني مستغرق فى كابوس رهيب ...

وعندما انفض الناس من حولى القيت بجســدى على الفراش غير مصدق ما حدث ، وانا لا اكاد اقوى على التنفس ، والمرئيات تبدو امامى كانهـــا اطياف يغمرها ضباب كثيف ، واضطربت افكارى ، وتلاحقت فى ذهنى صور سريعة غامضة لا معنى لها ولا رابط بينهـــا ...

ولا ادرى كيف مرت بى الايام الاولى عقــب الكارثة ، وقـد لازمنى بعض اقاربى ليخففوا عنى المصاب ، ولكن احاديثهم وكلماتهم كانت تطرق سمعى باردة لامعنى لها لاتصــل الى قلبى ولا تخفف من آلامى ، كان مصابى اكبر من ان ينفع فيه عزاء ...

احسست بشيء فى صدرى قد مات .. جزء من نفسي او نفسي كلها .. لم يعد هناك انسان يستطيع ان يحمل الى العزاء او ان يمســح احزانى بانامل الحنان ، وكــم تمنيت لو كنت انا الذى مت وعاش هو .. لماذا لم ياخذنى الموت ويتركه وهو الشاب الباسم الذى ينتظره مستقبل مشرق عريض ، ولكن الموت لا منطق له ، فقد يخطف صبيا ضاحكا بريئا ، وينتزع الحياة من شاب قوى متفتح للحياة ، ويترك كهلا مريضــا ورجـلا محطما ضائعا لا نفع منه لانسان ...

وشعرت باننى اصبت بشلل فى نفسي وحواسي ، فكنت اجلس فى مكانى بلا حراك احدق فى لا شيء ، ولا افكر فى شيء ، ولا احس برغبة فى شيء ، ولم اكن حتى لأرغب فى الحديث مع اى انسان ، اصبحت اعيش فى صــمت مطلق ، ولم اكن افتح فمى الا للضرورة القصوى ...

بدت لى الدنيا مشحونة باليأس والتعاســة ، وكنت اشعر برغبة تتملكنى فى ان ابكى وان اظل ابكى ، وبحزن عميق اسـود يتراكم فى اعماقى ، ولكن الدموع لم تستجب لى .. جفت فى عينى .. لقد بكيت يوم وفاة اخى كما لم ابك من قبل ، ولكن فى الايام التالية رحت ابحث عن الدموع عبثا ... كنت اريد ان ابكى اياما حتى تخف تلك الاحــزان الدفينة فى صـــدرى ، ولكن الدموع تحجــرت فى عيني ...

وتلفت حوالى جزعا .. منهارا .. لم يعد هناك شيء يستهوينى او يجذب انتباهى او يحرك قلبى .. لم يصبح لحيــاتى طعم ولا معنى ، وزهدت فى كل شيء .. حياتى وعملى .. حتى الطعــام لم اعد اتناول منه الا مايقيم الاود ، وانهارت صحتى ونحل جسدى ، وكنت امضي فى الطرقات مترنحا كالثمل . كنت اذهب الى عملى فاقضى فيه بضع ساعات ثم اتركه وانا اشعر بالملل والسأم ، فالقى بجسدى على مقعد فى احد المقاهى واروح انظـر امامى بعيون ذاهلة لا ترى شيئا ...

ثم اعود الى البيت محطما من التعب ، فادور فى المسكن كالمأخوذ انظر الى فراش اخى والى ثيابه المعلقة فى الصوان باحثا بعينى عن ذلك الانســان الحبيب الذى كان ملء البصر والسمع ...

ما معنى هذه الحياة .. ؟! لماذا جئنا .. ومن اين جئنا .. والى اين نذهب .. ؟

ودرت فى دوامة مظلمة عميقة ، ومضيت ادور فيها بلا مخرج ، وكل بضــعة ايام اذهب الى قبر اخى ، واجلس امامه احدق فيه فعيون جامدة لاتطرف ما هو الموت ..؟ وما معنى هــذا كلــه .. ؟! ثم اقفل عائدا الى المدينة مطرقا اترنح ...

وضقت بحياتى ذرعا ، وازدريتهــا ، وغرقت فى اعماق مأساتى ، ولم اعد — اينما وليت وجهى — ارى شيئا سوى شاهد القبر ، وفقدت كل شجاعة على مواجهة الحياة ..

واهملت نفسي وثيـابى ، وكان اقاربى ومعارفى ينظرون الى فى عطف ، وحاول بعضهم ان يخرجنى من عزلتى المظلمة لكن جهودهم ذهبت بلا جدوى ، وكانت النظرات تقتحمنى .. البعض ينظر الى فى رثاء ، والبعض فى سخرية ...

وكنت احيانا وانا ســادر فى عذابى تعود الى خيالى ذكريات الماضي ، فاذكر ايامنا الاولى عنـد ما كنت اعيش فى كنف ابى وامى واخى ، وتبدو امام عينى لحظات السعادة والحنــان والدفء ... ثم اذكر ايامى مع اخى .. عندما كنا نقضى اوقات فراغنا معا ، ونتنزه معا ، ونذهب الى السينما معا ، ونتجول فى طرقات القاهرة المزدحمة معــا ، ونحن نضحك حتى تدمع عيوننا من الضــحك ... ثم يجذبنى الحاضر الى ظلامه فجأة ، وتصدمنى الحقيقة المرة . كل هذا قد ذهب .. ذهب الى غير عودة ، مضي كل

شيء ، وبقيت وحيدا ضائعا في هذه الدنيا الواسعة ...

وفي تلك اللحظات كان يخامرني حنان عجيب الى حياتي الماضية ، وتراودني غريزة حب الحياة ، وتجتاحني رغبة في ان اهرب بنفسي من هذه الاحزان وابتسم للحياة مرة اخرى ، واحاول ان ابتسم لكن الابتسامة لاتطاوعني ، واجد وجهي جامدا كتمثال من الشمع ..

ان الابتسامة لم تعرف طريقها الى شفتي منذ رحل اخي عن هذه الدنيا .. مرت بي شهور طويلة لم ابتسم فيها مرة واحدة حتى ايقنت انني قد نسيت الابتسامة تماما ... !

وكنت اتطلع الى الناس وهم يبتسمون ، واسال نفسي في حيرة وعجب :

ــ كيف يبتسم هؤلاء الناس .. ؟ كيف يقوى هؤلاء الناس على الابتسام ، واى شيء يجعلهم يبتسمون . ماذا في الحياة يجعل الابتسامة ترتسم على شفاهم .. الحياة كلها تعب وشقاء وعذاب وفراق وموت . الا يذكر هؤلاء الناس حياتهم المعلقة على خيط اوهى من خيوط العنكبوت . الا يذكرون الموت الذى يتربص بهم في كل لحظة ومع كل نفس يتردد في صدورهم .

وفي الدوامة المظلمة التى ادور فيها نسيت كل طيبات الحياة ..

اضاءت مصابيح الطرقات ، وهبط الظلام ، ومازلت اهيم في الطرقات على غير هدى افكر بلا انقطاع ...

وتناهى الى سمعي صوت الشيخ عبد الباسط وهو يتلو القرآن بصوته العذب الأخاذ في مذياع باحد المتاجر ، توقفت انصت اليه وقد انتبهت حواسي ، ومست الكلمات المعجزة شغاف قلبي .. كان يتلو « وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا » ..

وتلاحقت نبضات قلبي ، والمقرىء يردد الآية بقراءات مختلفة اكثر من مرة ، وشعرت بهزة في اعماقي كمن مسه تيار كهربي ، وظللت واقفا استمع الى القرآن العظيم في انفعال وخشوع ، ثم غادرت مكاني ومضيت بطيء الخطو وقد احسست بهدوء يشملني لكنني سألت نفسي في حيرة وحزن :

ــ كيف نسيت السماء وانا غريق في محنتي ..؟

وراودتني من جديد تلك الرغبة في ان اهرب بنفسي من احزاني .. الرغبة في الحياة التى تعتمل في كل نفسي ..

رحت انقل قدمي على ارض الطريق بلا وعى وانا غريق في خضم من الافكار .. وفجاة وقع بصري على اضواء متالقة تشع من نوافذ مبنى ضخم وتنعكس على ارض الطريق ، ورفعت بصري الى المبنى المتالق الذى يبدد الظلمات من حوله ، فاذا به مسجد ...

وقفت كالخائف وانا ارتعش كالمقرور ، واحدق في المسجد وكانه مكان قد حرم على ، وظللت جامدا اتطلع الى النور المنبعث من باب المسجد ومن نوافذه ، ونسيت نفسي لحظات ثم انتبهت ، فاذا بعض المصلين يغادرون المسجد وهم يتمتمون بالدعاء ، ونظرت الى وجوههم واجتاحتني الدهشة ..

رايت وجوها هادئة مشرقة مطمئنة ، ولمحت بسمات تتلألأ على تلك الوجوه .. بسمات حلوة كلها الرضا والتفاؤل.. وهتفت من اعماقي :

ــ كيف نسيت هذا .. ؟ ! شيء واحد هو الذى يجعل الناس يبتسمون .. الايمان بالله هو النور الذى يضيء جنبات الصدر ، وينزل السكينة في القلب . هو طوق النجاة الذى يحمل الانسان من لجة الشقاء والعذاب الى شاطيء الطمانينة والاستقرار .. ليس شيء غيره ..

وعندما غادر المصلون المسجد وجدت نفسي اتسلل داخلا اليه ، ورغم انني احسست براحة تغمر صدري وانا ادلف الى المسجد ، فقد اجتاحتني رغبة شديدة في ان ابكي ، وان استغرق في البكاء ...

ووقفت لأصلي العشاء ... وفجاة ... فاض من عيني نهر الدموع ، تحطم سد الشقاء والعذاب ، وجرف امامه ركام التعاسة والاحزان الدفينة ... وعندما فرغت من صلاتي لمحت شيخ المسجد وهو ينظر الى دموعي في تعاطف وحنان ثم رفع عينيه الى السماء وهمس بكلمات ثم انصرف لشانه ..

وغادرت المسجد وانا اشعر بهدوء واطمئنان ، وقد افترت شفتاي عن بسمة ..

لقد عرفت اخيرا كيف يبتسم الناس .. الايمان.. والامل .. الايمان بالله الذى يشع في الصدر راحة

وفى الاعماق طمانينة .. والامل .. الامل فى رحمته تعالى وفى عونه .. لقد افقدتنى الصدمة صوابى ، واظلم الياس امام عينى .. واحسست وانا اخرج من المسجد الى الطريق اننى ولدت من جديد ...

نعم انا الآن انسان آخر .. ومضيت اتجول فى الطرقات لكننى لم اكن امضي على غير هدى بل كنت اعرف ما سوف افعل ، وكانت طمانينة الهية تغمر صدرى ، وهدوءا نفسيا يشمل عقلى ونفسي جميعا ...

كنت ارسم الخطوط الاولى لحياة جديدة .. لن البث ان انفذها على الفور .. اجل يجب ان ابدا من الليلة .. سابدا من الليلة فى ترميم حياتى التى حطمها الياس والحزن .. لن استسلم لليأس القاتل مرة اخرى .. نعم لن استسلم ، وسيعيننى الله على ذلك لن يتخلى عنى ...

سانتقل اولا من المسكن القديم الى شقة اخرى.. ساهرب من مثوى ذكرياتى الى مكان جديد يساعدنى على النسيان ، ولن اعيش بمفردى .. سأتزوج .. اجل سأتزوج ...

ثريا ... يا الهى .. كيف نسيتها .. واضاء الاسم امامى وتوهج كالمصباح المتالق فى ظلمة الليل .. تلك الفتاة الجميلة ، جارتنا بنت « الست ام خليل » الطيبة .. الفتاة التى طالما كان قلبى يركض فى صدرى كلما رايتها ، والتى كان وجهها يحمر كلما التقت عينانا فى نظرة معبرة والتى خفق القلب بحبها اول خفقة ، وكان زواجى منها اقصي امنية لى..تلك الأمنية التى اودعتها — من اجل اخى الحبيب — فى مكان سحيق من صدرى ...

اجل سأتزوج من **ثريا** ، وسابدا حياة جديدة ، وسيقف الله الى جانبى ، ولن يتخلى عنى ، وكل جمعة سنزور معا قبر اخى ، فاقرا هناك ما يتيسر من القرآن واترحم عليه .. لن استسلم لليأس مرة اخرى .. ان الله الذى وهبنا الحياة لنعيشها ولنتمتع بها لايرضي قط ان اعيش عمرى كله فى ظلام الياس والضياع ، ولن انقطع عن الصلاة ابدا .. لقد اضاءت صدرى المظلم واخرجتنى من ظلمة الياس الى نور الحياة ...

كنت ارتجف من الانفعال ، وفى اعماقى شحنة من الاحاسيس تريد ان تنفجر ، لن انام الليلة هذه الليلة .. هذه ليلة خالدة فى تاريخ حياتى .. يجب ان افعل شيئا .. اى شيء .. يحقق آمالى فى الحياة الجديدة التى صممت على ان اعيشها ...

واتجهت صوب الشارع الذى اقطن فيه .. وفى هدوء دخلت بيت ثريا .. ثريا يا حبيبة القلب .. لقد آن الاوان اخيرا .. اخيرا سنلتقى ، وسيتحقق الامل ، وسننتقل من هنا الى حى اخر والى شقة جديدة واثاث جديد وحياة جديدة ، وساحملك بعيدا عن الناس جميعا الى جنة الحب والزواج ..

وطرقت باب شقتها باسما خافق القلب ، وانفتح الباب عن وجه « الست ام خليل » ومدت يدها تصافحنى وترحب بى ، ودخلت الى حجرة الصالون .

جلست امامها مضطربا كالتلميذ البليد المحرج فى امتحان الشفوى ، وكانت السيدة تتطلع الى فى شيء من الدهشة فلم اكن متعودا على زيارتهم ، وكنت اريد ان اصارحها على الفور برغبتى ، ولكن لسانى انعقد فى فمى ، والعرق تصبب على جبينى وانا احاول جاهدا ان انبس بكلمة ، والسيدة تقول لى بين الفينة والفينة مرحبة وكانها تشجعنى على ان ابدا الحديث :

— اهلا وسهلا . مرحبا . زارنا النبى ..

وانا ارد عليها بغمغمة لاتبين ..

وبعد لأى قلت لها فى ارتباك وبصوت خافت مرتعش :

— والله ياست ام خليل انا لى عندك رجاء .. فقالت السيدة وهى لاتنى تتطلع الى فى فضول :

— انا تحت امرك يابنى .. قل ما تريد .. ؟

فقلت ووجهى يزداد احمرارا :

— جئت اطلب الآنسة ثريا زوجة لى ..

ونظرت الى السيدة فى دهشة وعجب كمن تتطلع الى انسان يهذى .. ثم اطلقت ضحكة ولم تملك نفسها فاستغرقت فى الضحك ، وزادتنى ضحكاتها ارتباكا وحرجا ، وكان قلبى يركض فى صدرى وانا فى اشد العجب من ضحكها ، ثم تمالكت السيدة نفسها وقالت لى فى صوت هادىء فيه رنة اشفاق :

ثريا يابنى تزوجت منذ اكثر من عام .. وبالامس انجبت طفلا جميلا . اننى عائدة توا من عندها ..

بهت .. ونظرت اليها كالمشدوه ..

واستطردت السيدة فى رقة وحنان :

ــ كيف لم تعلم وانت تسكن فى نفس شارعنا .. فقلت فى استحياء وانا اكاد ابكى من الحرج :

ــ مرت بى ظروف عصبية انت تعرفينهـا . ان وفاة اخى جعلتنى لا احس بالدنيا من حولى . لم اكن طوال الشهور الماضية محسوبا فى الاحياء ..

وتسللت خارجا من البيت كسير القلب اتصبب عرقا ..

والآن .. ماذا افعل .. ؟ لقد فشلت فى اول خطوة اخطوها .. ان القدر يعـاندنى ويقف لى بالمرصاد .. ماذا فعلت يارب حتى تحكم على بكل هذه التعاسة ، وكل هذا العذاب .. ؟

لكننى كنت احس فى قلبى قوة من حديد لا ادرى من اين جاءت .. قوة الايمان بالله وقوة الأمل فيه .. اجل .. رغم هـذا الفشل لن استسلم .. لن استسلم لليأس والمرض والهزيمة مرة اخرى .. لقد تزوجت ثريا .. الفتاة التى كان القلب يحلم بها .. تزوجت وانجبت طفـلا .. جاءت بطفل جديد الى الحيـاة التى لاتتوقف ابدا .. انا ايضـا .. لن اتوقف .. لقد فقدت ثريا ولـكن هناك غيرها .. هناك عشرات الفتيات غيرها ...

لقد انجبت **ثريا** .. ان الحيـاة لاتتوقف ابدا .. لا تتوقف .. وانا لن اتوقف .. سابدا من جديد .. نعم سابدا من جديد ..

« سعد حامد »



الثقافة والارشاد القومى

العدد ٦٢

الثمن ٣ مـ

الدار القومية للطباعة والنشر